بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القـــــــــــرى
كلية التربية بمكة المكرمـــة
الدراسات العليا

نموذج رقم (٨) *

اجازة أطروحة علمية فى صيغتها النهائيـــــة
بعد اجراء التعديلات المطلوبـــة

الاسم رباعـــى : خمدان عبدالله شحده الصوفى — القسم التربية الاسلامية والمقارنة

الدرجة العلمية : الماجستير — التخصص : تربية اسلامية

عنوان الاطروحـــة : الموضوعية فى العلوم التربوية من وجهة النظر الاسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الاطروحة المذكورة عاليه والتى تمت مناقشتها بتاريخ ٢/ ٧ / ١٤٠٩هـ بقبول الاطروحة بعد اجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ٠

فان اللجنة توصى باجازة الاطروحة فى صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلى للدرجة العلمية المذكورة أعلاه والله الموفق ٠

أعضاء اللجنة

المشرف	مناقش من القسم	مناقش من خارج القسم
الاسم : د٠ محمد عيسى فهيم	د٠ محروس سيد مرسى	د٠ محمود ابو زيد ابراهيم
التوقيع :		

رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنة

د٠ نجم الدين عبدالغفور الانديجاني

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الاطروحة فى كل نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم
وعليه نتوكل وبه نستعين

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

٣٠١٠٢٠٠٠٠١٤١١

الموضوعية في العلوم التربوية

من وجهة النظر الإسلامية

إعداد
حمدان عبد الله الصوفي
إشراف الدكتور
محمد عيسى فهيم

جامعة أم القرى مكة المكرمة
قسم المطبوعات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

دراسة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة في كلية التربية بجامعة أم القرى كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية

الفصل الدراسي الأول
١٤٠٩هـ

ملخص الرسالـــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد :

فان مصطلح " الموضوعية " فى العلوم التربوية تأثر فـــــى مضمونه ومحتواه بالفكر الوضعى الغربى فى كثير من كتاباتنـــــا وأبحاثنا التربوية . ويرجع هذا الى ان أوروبا مرت بظـــروف وملابسات تاريخية قاسية احتقرت العلم ونبذت العلماء ، ومارست كل هذا باسم الكنيسة والدين . ولذلك فقد انعكس هذا الظرف القاسى على نظرة أوروبا للأمور من حيث كراهية الدين وابعاده عن واقـــع الحياة . ومصطلح " الموضوعية " عند الغربيين ناله نصيب كبير من ذلك ، وأصبح الكثير منهم يعرف الموضوعية بانها تجرد الباحث مـــن كل اعتبار قيمى وعقدى ، ونقل لنا هذا المفهوم عن طريق الترجمـــة وحمل الافكار المشبوهة الاتية من الغرب ، وهذا البحث عبارة عـــن دراسة نقدية للموضوعية بمعناها الغربى فى ظل الملابسات التاريخية القاسية التى مرت بها اوروبا من النواحى السياسية والدينيـــة والعلمية . اضافة الى محاولة لتأصيل الموضوعية من المنظـــور الاسلامى .

وآكد هذا البحث على ان التمسك بالعقيدة والاخلاق والقيـــم الاسلامية هى أهم مقومات الموضوعية بمعناها الصحيح ، وذلـــك لأن هذه المقومات متلقاه عن الله عز وجل الذى احاط بكل شىء علمـــا وآكد ايضا على ان الموضوعية بمعناها الوضعى الغربى لاتصح مـــن الناحية العلمية ولاتستقيم من الناحية العقلية ولا تتمشى مـــع مجتمعاتنا الاسلامية من الناحية الاجتماعية .

- الاهـــداء -

الى الذين شعارهم :

" اللـهُمَ أرنا الحقَ حقاً وأرزقنا اتباعَه

وأرنا الباطل باطلاً وأرزقنا اجتنابَه "

أهدى هذا الجهد المتواضـــع

الباحث

- شكر وتقدير -

أتوجه بالشكر أولا الى الله سبحانه وتعالى الذى وفقنى الى اتمام هذا البحث .

ثم أتقدم بالشكر الى الاستاذ المشرف سعادة الدكتور محمد عيسى فهيم على ما أسدى الى من معروف دون أن يألو جهدا فى توجيهى وأرشادى نحو كل ماهو مفيد ونافع للبحث .

وأتقدم كذلك بالشكر الى كلية التربية متمثلة فى عميدها ونائبه ، كل من سعادة الدكتور هاشم حريرى ، وسعادة الدكتور عبداللطيف بالطو ، كما أشكر كذلك سعادة الدكتور نجم عبد الغفور جان رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنة على مايبذلونه جميعا فى خدمة أبنائهم الطلاب .

وأقدم شكرى أيضا الى المناقشين الكريمين كل من سعادة الدكتور محمود ابو زيد ابراهيم ، وسعادة الدكتور محروس مرسى اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذا البحث ، وأسأل الله أن يوفقنا جميعا لما يحب ويرضى .

ولايفوتنى أن أشكر جامعة أم القرى ممثلة فى مديرها معالى الدكتور راشد الراجح وادارتها ، اذ أتاحت لى هذه الفرصة لاكمال مرحلة الماجستير .

والله الموفق ...

محتويات البحث

الموضـــوع	الصفحة
الفصل الأول	
المقدمة	٢
أهمية الموضوع	٤
تساؤلات البحث	٥
أهداف البحث	٦
حدود البحث	٧
منهج البحث	٨
الدراسات السابقة	٩
المصطلحات الواردة	١٢
الفصل الثانى : الموضوعية مفهومها عند الوضعية التجربية ونشأتها	
المبحث الأول : مفهوم الموضوعية	١٥
أولا : المعنى اللغوى	١٥
ثانيا : المعنى الاصطلاحى	١٦
المبحث الثانى : نشأة الموضوعية .	١٨
أولا : نظرة على واقع أوروبا قبل الثورة الصناعية	١٩
(١) الطغيان الروحى والدينى	١٩
(٢) الطغيان السياسى	٢٠
(٣) الطغيان الفكرى والعلمى	٢٢

ثانيا : ظهور الاتجاه الوضعى ٢٧
(١) الوضعية التجريبية ٢٧
(٢) المذهب الوضعى ٢٨
ثالثا : الأسس التى قامت عليها الفلسفة الوضعية ٣٠
(١) انكار التفكير الميتافيزيقى ٣٠
(٢) نسبية الحقائق وتدرجها ٣٢
(٣) الطريقة العلمية التجريبية ٣٤
رابعا : نقد الوضعية ٣٦
(١) الوضعية والميتافيزيقا ٣٦
(٢) الوضعية والتعميم ٣٩
(٣) تناقض فى المذهب الوضعى ٤١
خامسا : علاقة الموضوعية بالفلسفة ٤٥

الفصل الثالث : اشكالات الموضوعية فى العلوم التربوية
المبحث الأول : اشكالات متعلقة بالباحث ٥٣
أولا : الأيديولوجيا ٥٣
ثانيا : القيم ٥٩
ثالثا : الذاتية ٦٤
المبحث الثانى : اشكالات متعلقة بطبيعة الموضوع ٦٨
أولا : التجريب ٦٨
ثانيا : التعبير الكمى " القوانين " ٧٤
ثالثا : العالمية ٨٠

الفصل الرابع : الموضوعية من وجهة النظر الاسلامية
المبحث الأول : الحاجة الى رؤية ملائمة فى العلوم التربوية ٩١
أولا : الغرب والميتافيزيقا ٩٣
ثانيا : دور الفكرة الدينية ٩٧
ثالثا : ضرورة الرؤية الاسلامية ١٠٠
المبحث الثانى : خصائص الرؤية الاسلامية ١٠٤
اولا : الربانية ١٠٥
ثانيا : الثبات ١٠٨
ثالثا : الشمول والتكامل والتوازن ١١١
المبحث الثالث : مقومات الموضوعية من منظور اسلامى ١٢٢
اولا : الالتزام بالعقيدة والقيم الاسلامية ١٢٢
ثانيا : الحجة للنص ١٢٣
ثالثا : التزام قواعد البحث العلمى ١٢٦
(١) اعتماد الدليل والبرهان ١٢٧
(٢) العدل والنزاهة والانصاف ١٢٩
(٣) قبول الحق ولو من المخالف ١٣٢
(٤) رفض النزعة الذاتية (العواطف والأهواء ١٣٤

الفصل الخامس : النتائج والتوصيات ١٣٩
المصادر والمراجع ١٤٥

الفصل الأول

* المقدمة
* أهمية الموضوع
* تساؤلات البحث
* أهداف البحث
* حدود البحث
* منهج البحث
* الدراسات السابقة
* المصطلحات الواردة

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقدمـــــة)

الحمـــد للـــه رب العالميـــن ، والصلاة والســـلام على ســـــيد المرسلين .

وبعد :

فقـــد برز الحديث عن الموضوعيـــة فى دراســـة العلـــــــوم الانسانية ـ باعتبارها مصطلحا فلسفيا ـ بعد الثورة الصناعية فـــى فرنسا ، وذلك لملابســـات ثقافية وفكرية ولدتها هذه الثـورة .

وأدى ذلك إلى تلبس مصطلح " الموضوعيـة " بكثير مـــــــن الأفكار التى كانت سائدة فى تلك الحقبة ، بل إن مفهـــــــوم الموضوعية ـ بمعناها الغربى ـ يعكس بوضوح طبيعة التفكيـــــــر الغربى فى ذلك الوقت ، والذى يدور على محورين أساسيين وهما :

- الفرار من كل تفكير ميتافيزيقى ودينى . وقد يكـــون لأوروبا عذر فى ذلك بسبب الطغيان الفكرى وجو الارهـــاب الذى كانت تفرضه الكنيسة على المفكرين الطبيعين ومـــن يحاول أن يخرج على تعاليمها .

- تقديس العلوم الطبيعية ، واعتبار أنها المصدر الوحيـد للمعرفة . وقد دفع هذا بدوره الى نقل منهج البحـــث فى العلوم الطبيعية ـ فيما بعد ـ الى العلـــــــوم الانسانية نظرا لما حققته العلوم الطبيعية من منافـــع للانسان فى فترة تعد قصيرة .

ولاشك أن العلوم التربوية ، والانسانية عموما ، تختلف اختلافا كبيرا عن العلوم الطبيعية . وهذا يؤدى الى اختلاف طريقة البحث فى كل منهما .

وقد دار جدل طويل حول امكانية تحقق الموضوعية أو عدمها فى الدراسات الانسانية . واختلفت فى ذلك وجهات النظر حسب المنطلقات الفكرية التى يستقى منها كل طرف أحكامه وتقييماته للأمور .

ويقتضى هذا بيان وجهة النظر الاسلامية فى مفهوم الموضوعية وكذلك بيان خصائص الرؤية الاسلامية التى تحدد للمسلم مفاهيمه للقضايا الفكرية المختلفة خاصة وأن مضمون العلوم التربوية ومحتواها قد تأثر فى كثير أبحاثنا وكتاباتنا التربوية بالفكر الوضعى من حيث التناول والمصطلحات وغير ذلك من الأمور .

أهمية الموضـــــــــوع

تنبع أهمية هذا الموضوع من التالى :

- ضرورة الدراسة الناقدة والمتابعة المستمرة للتحديـــات المعادية والمتمثلة ـ فى جانب من جوانبها ـ فـــــى المصطلحات التى يشيع استعمالها ، دون معرفة ابعادهـــا ومدى موافقتها أو مخالفتها للاسلام .

  وهذه الدراسات الناقدة تسهم فى تحديد مايمكـــن قبوله ، ومايمكن رده بناء على دراسة علمية سليمـــة وتصور واضح .

- ضرورة الربط بين المصطلحات وبين الاطار الفكرى الـــذى تستمد منه تلك المصطلحات معانيها وأبعادها . وهـــذا يعطى للمسلمين الفرصة أن يستفيدوا من الجوانب العلمية من المعرفة ، ويتركوا سياقها الفلسفى الذى يخالـــف المفاهيم الاسلامية الصحيحة .

- ضرورة أسلمة المصطلحات الفكرية والتربوية ، وتحديـــد مفاهيمها بوضوح ، حتى لايقع المسلمون فى مايعلق بتلـــك المصطلحات من شوائب فكرية تخالف قواعد الاســـــلام وقيمه .

تساؤلات البحـــث

- ماذا نعنى بالموضوعية فى الفكر الوضعى التجريبى ؟
- وماهى أهم الصعوبات التى تواجه الموضوعية فى الدراســـات التربوية ؟
- وهل يعتبر الالتزام العقدى والقيمى عائقا لتحقيق الموضوعيـة فى العلوم التربوية ؟
- وماهى أهم خصائص الرؤية الاسلامية التى تستمد منها الموضوعية فى الاسلام معناها وأبعادها ؟
- وماهى مقومات الموضوعية من منظور اسلامى ؟

أهداف البحـــــــث

يهدف هذا البحث الى التالى :

- ايضاح الملابسات التاريخية والفكرية التى نشأ فيها مفهـــوم الموضوعية بمعناه الغربى . وهذا يؤدى الى الحيطة مـــــن المعانى المتلبسة بهذا المصطلح ، والتى تصطدم بالمفاهيـــم الاسلامية ..
- مناقشة أهم الصعوبات التى تطرح على أنها عوائق فى طريـــق تحقيق الموضوعية فى العلوم التربوية . وهذه العوائـــق منها ما يتعلق بالباحث ، ومنها ما يتعلق بموضوع البحث .
- التفرقة بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، وبالتالى التفرقة بين طريقة البحث فى كل منهما .
- محاولة ايضاح أهم خصائص الرؤية الاسلامية فى الأبحـــــاث التربوية ، وبيان أهم مقومات الموضوعية من منظور اسلامـــى مع ذكر بعض الأمثلة الدالة على مفهوم الموضوعية فـــى الاسلام .

حدود البحـــــــث

سيقتصر هذا البحث على نقد مصطلح الموضوعية بمعناه الوضعي التجريبي دون التعرض الى آراء المذاهب الوضعية بالتفصيل ، وذلك لأن الوضعية التجريبية هى البذرة الأساسية التى تحمل فى طيانها تحديا كبيرا ، ومناقضة صريحة للايمان بالله ، اذ أن هذا الفكر يؤمن بالتجريب باعتباره مصدرا وحيدا للمعرفة ، وينكر كل شئ لايخضع للحس والمشاهدة . وهذا يحتاج منا الى نقد هذه المفاهيم ونقضها . ويحتاج كذلك الى بيان النظرة الاسلامية للموضوعية وأهم مقوماتها التى تقوم عليها .

منهج البحث

منهج البحث فى هذه الدراسة هو المنهج التحليلى . وهذا المنهج يقوم على مناقشة النصوص من أجل التوصل الى تأكيد حقيقة قائمة ، أو رفض فكرة خاطئة ، أو تصحيح بعض المفاهيم التى ظن الكثيرون أنها حقائق مجردة فى مجال المعرفة (١) .

وسوف يقوم الباحث فى هذه الدراسة بعرض الملابسات التاريخية لظهور مصطلح " الموضوعية " بمعناه الغربى . ثم سوف يقوم الباحث بمناقشة أهم المعوقات التى قد تعترض تحقق صفة الموضوعية فى الدراسات التربوية ، ومدى تأثير تلك المعوقات على امكانية أو عدم امكانية تحقق الموضوعية فى العلوم التربوية .

وبعد ذلك سيقوم الباحث بمناقشة أهم خصائص الرؤية الاسلامية وأهم مقومات الموضوعية من منظور اسلامى .

---

(١) غريب محمد سيد أحمد : تصميم وتنفيذ البحث ، " ص " :

(الدراسات السابقة)

هناك دراسة علمية واحدة -فيما يعلم الباحث- لها علاقة بموضوع الدراسة وهى أطروحة ماجستير بعنوان " الموضوعية فى البحث الاجتماعى "[1] .

وقد قام الباحث فى هذا البحث بايراد لمحة تاريخية عن مفهوم المنهج وتطوره ومحاولات تطبيقة فى العلوم عامة ، وفى علم الاجتماع خاصة .

ثم أورد الباحث قضية الاقتراب من مفهوم المنهج العلمى فى كل من العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية .

وتناول الباحث بعد ذلك اختلاف مفاهيم المدارس فى تحديد مفهوم الموضوعية فى العوم الاجتماعية والطبيعية ، وكذلك أورد الاختلاف فى مفهوم المنهج فى البحث الاجتماعى .

والملاحظ أن الباحث لم يتعرض - بالقدر المطلوب - للصعوبات والعوائق التى قد تعرقل سير الموضوعية فى العلوم الانسانية وهى صعوبات متعلقة بالباحث ، وأخرى بموضوع البحث .

ويلاحظ على هذا البحث أيضا أنه يخلو من النظرة الاسلامية للموضوعية والمرتكزات التى تقوم عليها .

---

(١) عبدالله أحمد الصايغ : الموضوعية فى البحث الاجتماعى .

وفى التربية - حسب علم الباحث - لاتوجد سوى دراسة وحيدة بعنوان : " الموضوعية فى العلوم التربوية ، رؤية اسلامية "[(١)] ، وقد تناول هذا البحث تعريف الموضوعية ، وتكلم عن الموضوعية فى العلوم الطبيعية وفى العلوم التربوية ، ثم فرق بين طبيعة كل من العلوم الطبيعية والعلوم التربوية ، ثم تعرض للأجواء الاسلامية الملائمة للموضوعية .

والملاحظ على هذا البحث أنه لم يتعرض للملابسات التاريخية التى أدت الى ظهور " الموضوعية " بمعناها الوضعى التجريبى وكذلك لم يتعرض لأهم الأسس التى تقوم عليها الوضعية التجريبية فى مقابل الرؤية الاسلامية .

كما أن البحث لم يتناول بالتفصيل أهم الصعوبات التى تواجه الموضوعية فى العلوم التربوية ، سواء منها مايتعلق بالباحث أو بموضوع البحث .

ومن جهة نظر الباحث ، فان هذه الدراسة تسد ثغرة ، وهى الحديث عن أهم مقومات الموضوعية من المنظور الاسلامى ، وأهم خصائص الرؤية الاسلامية التى تستمد الموضوعية منها معناها .

---

(١) عبدالرحمن صالح : " الموضوعية فى العلوم التربوية ، رؤية اسلامية " سلسلة البحوث التربوية والنفسية ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .

وأما الكتابات التى لها علاقة بالموضوع فهى - فى حدود علم الباحث - كالتالى:

- " الموضوعية فى العلوم الانسانية "(١) .
- " الموضوعية والتحليل فى البحث الاجتماعى "(٢) .
- " اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى "(٣) .

والكتاب الاخير عبارة عن مجموعة من المقالات التى قام بها جماعة من المختصين . وقد تناولت هذه المقالات المنهج فى العلوم الاجتماعية ومدى علمية العلوم الاجتماعية ، والاستقلال والتبعية فى العلوم الاجتماعية ، والديمقراطية والعلوم الاجتماعية ، والتراث والعلوم الاجتماعية .

وأهم ما يمكن أن يضيفه هذا البحث ، هو محاولة الربط بين مفهوم الموضوعية وبين الملابسات الفكرية والتاريخية التى زامنت ظهور هذا المصطلح ، اضافة الى محاولة للتوصل الى مفهوم الموضوعية من منظور اسلامى .

---

(١) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية .
(٢) معن خليل عمر : الموضوعية والتحليل فى البحث الاجتماعى .
(٣) مجموعة من المؤلفين : اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى .

المصطلحات الواردة

الموضوعية : وتعنى دراسة الظواهر التربوية بطريقة علمية سليمة ، وتنحية الاعتبارات الشخصية التى تؤثر على سير دراسة الظاهرة محل البحث سواء بالزيادة أو النقص أو التحريف . وهى بهذا " معيارا أساسى من معايير البحث يقوم على الصدق والعلم والامانة ، والبعد عن الأهواء الشخصية ، ويهدف الى وصف الظاهرة أو الموضوع وصفا يعتمد على معطيات الواقع لا على متطلبات الخيال "(١) .

العلوم التربوية : هى المفهوم التطبيقى لبقية العلوم الاجتماعية والانسانية ، ثم تحول هذا المفهوم الى مجموعة من العلوم المتخصصة تأثرا بالعلوم الطبيعية المتخصصة فظهر منها الأصول الاجتماعية والفلسفية للتربية وعلم النفس التربوى والمناهج وطرق التدريس والتربية المقارنة وعلم الاجتماع التربوى وتاريخ التربية .

الأيديولوجيا : وهى مجمل الأفكار والقيم والآراء والنظريات التى تعبر عن مجموعة معينة فى اطار تاريخى وهى بذلك مايسمى النظرة الكونية الشاملة(٢) .

---

(١) عبدالرحمن صالح : " الموضوعية فى العلوم التربوية ، رؤية اسلامية " ، سلسلة البحوث التربوية والنفسية ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ ص ٦ .

(٢) النظرة الكونية الشاملة لايمكن أن تتحقق للانسان الا من خلال العقيدة الاسلامية أما الايدولوجيات والأفكار البشرية فهى قاصرة ولايمكن أن تعطى مفهوما شاملا للكون والحياة .

القيم : وهى المقاييس والقواعد التى تنظم سلوك ونشـــــــاط المجتمع فى سبيل غايته .

وجهة النظر الاسلامية : هى المبادئ والاسس المستمدة مـــــن العقيدة الاسلامية والتى تحدد مفهوم الانسان والكون والحياة وعلاقة كل منها بالاخر وعلاقتها جميعا بالخالق سبحانه وتعالى .

الفصل الثانى

* المبحث الأول : مفهوم الموضوعية
  * أولا : المعنى اللغوى
  * ثانيا : المعنى الاصطلاحى
* المبحث الثانى : نشأة الموضوعية
  * أولا : نظرة على واقع أوروبا قبل الثورة الصناعية .
    * (١) الطغيان الروحى والدينى
    * (٢) الطغيان السياسى
    * (٣) الطغيان الفكرى والعلمى
  * ثانيا: ظهور الاتجاه الوضعى
    * (١) الوضعية التجريبية
    * (٢) المذهب الوضعى
  * ثالثا : الأسس التى قامت عليها الفلسفة الوضعية .
    * (١) انكار التفكير الميتافيزيقى
    * (٢) نسبية الحقائق وتدرجها
    * (٣) الطريقة العلمية التجريبية
  * رابعا : نقد الوضعية
    * (١) الوضعية والميتافيزيقا
    * (٢) الوضعية والتعميم
    * (٣) تناقض فى المذهب الوضعى
  * خامسا : علاقة الموضوعية بالفلسفة

المبحث الأول

(مفهوم الموضوعيـــــة)

لابد قبل الحديث عن مفهوم الموضوعية من التعرض الى المعنـــى اللغوى والاصطلاحى لكلمة الموضوعية .

ومن خلال معرفة المعنى اللغوى والاصطلاحى يمكن التوصـــل الى المعنى الذى يحمله مصطلح " الموضوعية " .

أولا : المعنى اللغوى :

الوضع ضد الرفع ، وضعه يضعه وضعا وموضوعا .(١)

ووضع الشىء فى المكان : أثبته فيه .(٢)

وأوضعته فى الأمر : اذا وافقته فيه على شىء ، وكذلك واضعته فى الأمر .(٣)(٤)

وتواضع القوم على الأمر : اتفقوا عليه .(٥)

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، المجلد الثامن ، ص (٣٩٦) .

(٢) المرجع السابق ، ص (٣٩٩) . وانظر ايضا : المعجم الوسيط الجزء الثانى ، ص (١٠٣٩) .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، المجلد الثامن ، ص (٣٩٦) .

(٤) الرازى : مختار الصحاح ، ص (٧٢٧) .

(٥) ابراهيم انيس وآخرون : المعجم الوسيط ، ص (١٠٤) . وانظر ايضا : لسان العرب ، المجلد الثامن ، ص (٣٩٧) .

والموضوع : المادة التى يبنى عليها المتكلم أو الكاتب كلامه (١) .

وبالتأمل فى المعانى التى سبقت فى مادة " وضع " ، يظهر أن هذه المعانى تدور على محورين أساسيين هما :

- اثبات الشئ .
- الاتفاق عليه .

ثانيا : المعنى الاصطلاحى :

الموضوعية تعنى فى عمومها فهم الموضوع كما هو ، دون تدخل من الباحث فى سيره .

فالموضوعية فى علم الاجتماع تعنى دراسة الظواهر والمشاكل الاجتماعية كأشياء خارجة ومستقلة عن الباحث (٢) . وكذلك الحال فى العلوم التربوية .

ومن هنا فان صفة الموضوعية تتطلب حيدة ونزاهة من قبل الباحث ، وصبراً ومقدرة على الادراك الصحيح لجوانب الظاهرة التى يبحثها .

كما تتطلب الموضوعية أمانة ودقة من الباحث ، بحيث يعتمد فى عرض النتائج على الملاحظة الدقيقة دون تعديل فى سير الظاهرة (٣) .

---

(١) المرجع السابق : نفس الصفحة .

(٢) معن خليل عمر : الموضوعية والتحليل فى البحث الاجتماعى ص (١٧) .

(٣) أحمد فؤاد باشا : فلسفة العلوم بنظرة اسلامية ، ص (٥٤ - ٥٥)

ويدخل فى معنى الموضوعية تخلص الباحث من كل اعتبار يمكن أن يؤثر على علمية وصدق رؤيته ودراسته (١).

ومما تقدم يتضح أن مفهوم الموضوعية يدور على محورين هما :

- الملاحظة الدقيقة للظاهرة محل الدراسة ، واثباتها كما هى بكافة أبعادها ومكوناتها دون زيادة أو نقص .
- التخلى عن كل اعتبار مبنى على العاطفة أو الميول الذاتية أو الاقليمية التى يمكن أن تحرف الظاهرة المدروسة .

ومن خلال ماتقدم يتبين أن الموضوعية تعنى دراسة الظواهر التربوية بطريقة علمية سليمة ، وتنحية الاعتبارات الشخصية التى تؤثر على سير الظاهرة محل البحث سواء بالزيادة أو النقص أو بالتحريف . وهى بهذا " معيار أساسى من معايير البحث يقوم على الصدق والعلم والأمانة والبعد عن الأهواء الشخصية ، ويهدف الى وصف الظاهرة أو الموضوع وصفا يعتمد على معطيات الواقع لا على متطلبات الخيال " (٢).

---

(١) معن خليل عمر : الموضوعية والتحليل فى البحث الاجتماعى ، ص ١٧ .

(٢) عبدالرحمن الصالح : " الموضوعية فى العلوم التربوية ، رؤية اسلامية " ، سلسلة البحوث التربوية والنفسية ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ص ٦ .

المبحث الثانى

(نشأة الموضوعيـــــــة)

ظهر مصطلح " الموضوعية " objectivity فى الغرب وحمل فـــى طياته آثار الحالة الفكرية والسياسية والدينية فى الغرب • ثـــم ترجم هذا المصطلح الى العربية واتسع استعماله ، وتأثر كثير مـــن الباحثين والكتاب والمعلمين بالاستعمال الغربى للمصطلح من حيـــث تخلى الباحث عن قيمه واعتقاده بدعوى انها تتنافى مع الطريقـــة العلمية • واذا كان لأوروبا عذر فى نبذ فكر الكنيسة والديـــن عندهم فانه ليس هناك أى عذر للمسلمين لكى يرددوا مايـــــردده الغربيون وذلك لان الاسلام هو الذى دعا الى تكريم العلم والعلمـــاء بل جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم •

وقبل الدخـــول فى الحديث عن نشأة الموضوعية ، لابد مـــــن التمهيد لها بالحديث عن الحالة الفكرية فى أوروبا قبل الثـــورة الصناعية ، لأن معنى الموضوعية (objectivity) كمـــا يقصدها الأوروبيون له ارتباط وثيق صـــلة عميقة بالحالـــــة الفكرية التى كانت عليها اوروبا ، والتى مهدت لمعنى الموضوعيـــة كما فهمته الاوربيون •

أولا : نظرة على واقع اوروبا قبل الثورة الصناعية :

الحديث عن واقع أوروبا قبل الثورة الصناعية هو - بعبارة أخرى - الحديث عن الصراع المرير الذى حدث بين الكنيسة الكاثولوكية من جهة وبين النزعات التجديدية المتمثلة فى حركات الاصلاح الدينى والتفكير العلمى من جهة أخرى .

ذلك الصراع المرير الذى جسد طغيان الكنيسة الدينى والسياسى والفكرى فى أبشع صورة عرفها التاريخ .

وهذا الصراع المشار اليه بدأ تدريجيا الى أن وصل نهايته بظهور الثورة الصناعية فى فرنسا (١٧٨٩م) التى كانت ايذانا بخلع ربقة الكنيسة والدين من عنق أوروبا، وانطلاقة العلم والبحث بعد التخلص من القيود والأغلال التى كانت تطوّق العقل الأوروبى لقرون طويلة .

(١) الطغيان الروحى والدينى :

ويتمثل الطغيان الروحى والدينى فى النظرة الى رجل الدين المسيحى التى تحيطه بتلك الهالة المقدسة باعتباره موصولا بالرّب فهو يمثل رضا الرّب كما أنه يمثل سخطه . وهو يملك أن يدخل الناس فى رحمة الله كما يملك أن يخرجهم منها .

وهذه النظرة جعلت لرجال الدين المسيحى سلطانا على الناس بوصفهم الوسطاء بينهم وبين الله .

فالطفل لايعد مسيحيا حتى يعمد . والتعميد لايتم الا على يد الكاهن . ومن ثم تبدأ حياة المسيحى بتلك الوساطة الكهنوتية التى تدخله - ابتداء - فى الدين . ثم يظل حياته كلها مرتبطا بالكاهن . هو الذى يزوجه ، وهو الذى يصلى به صلاة الأحد فى الكنيسة ، وهو الذى يتقبل اعترافه بخطاياه ويتقبل توبته (والا فلا توبة ومن ثم فلا غفران !) ثم هو الذى يصلى عليه فى النهاية حين يموت "[1] .

وهذا يدلنا على أن الطغيان الروحى المتمثل فى رجال الدين ينشأ مع الطفل منذ مولده ويصاحبه حتى وفاته .

ومن هنا نشأ التقديس الأعمى لرجال الدين والذى فرّغ العقول الا مما تمليه عليها الكنيسة ، وان كان مجانبا للحق والصواب . وقد ساهم الطغيان الروحى من جهة الكنيسة والتقديس الأعمى من جهة الناس فى التخلف الفكرى الذى ساد أوروبا قرونا طويلة بسبب سجن العقول فى زنزانة الأسرار التى لايملك حلها الا كهنة الكنيسة .

(٢) الطغيان السياسى :

لم تقف الكنيسة عند حد الطغيان الروحى والدينى ، بل تجاوزت ذلك الى مجالات أخرى ، أهمها المجال السياسى . حيث بلغ نفوذ البابوية الروحى والفكرى والدنيوى ذروته فى القرنين

---

(١) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، ص (٣٠) .

الثانى عشر ، والثالث عشر ، فأصبح البابا يتمتع بسلطان عظيم اذ كان سلطانه فوق كل سلطان ، وارادته فوق كل ارادة .(١)

وقد ادعت الكنيسة لنفسها سلطة دنيوية أو زمنية (Temporal) نازعت بها الأباطرة والملوك وأخضعتهم لسلطانها .(٢)

وقد وصل الأمر بالكنيسة ان المخالف لتعاليمها وأوامرها كان يتعرض لعقوبة الحرمان والطرد من رحمة الكنيسة ، ومايتبع ذلك من متاعب لاقبل له بها داخل بلاده وخارجها أيضا .

وقد بلغت الكنيسة فى طغيانها حدا لايمكن احتماله اذ أنه " من المعروف أن مايسمونه " عصر النهضة " فى أوروبا جاء نتيجة جهاد طويل بين رواد الفكر الليبرالى المتحرر وبين الكنيسة التى كان نفوذها على الملوك والأمراء والعلماء وقتذاك واسعا شاملا لايحد . فسيف الحرمان مسلط على رقاب كل من تحدثهم نفوسهم بتجاهل البابا ، فضلا عن مخالفته . وقد كان للناس عظة رادعة فيما جرى للامبراطور هنرى الرابع من اذلال البابا جريجورى السابع له ، حين اختلف معه على حق تعيين الأساقفة على اقطاعياتهم . فأعلن عصيانه ، وأحل أتباعه الأمراء من ولائهم له . فأضطر الامبراطور أن يذهب اليه تائبا فى (كانوسا) سنة ١٠٧٧م وان ينتظر الغفران ثلاثة أيام مدثرا بالخيش وهو حافى القدمين وسط الثلج فى فناء القلعة "(٣) .

---

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج١ ، ص٥٠٦

(٢) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، ص ٤٣ .

(٣) محمد محمد حسين : أزمة العصر ، ص ١٩ – ٢٠ .

ولاشك أن الطغيان السياسى عطل الكثير من الطاقات العقلية وأثر على ركود الناحية الفكرية .

واستمر هذا الواقع حتى عصر النهضة (مابين القرن الرابع عشر والسادس عشر) اذ ظهرت النزعة العلمانية التى تطالب بقصر نشاط الكنيسة على النواحى الدينية ، وترك سياسة الدولة للسلطة المدنية أو السياسية (١) .

(٣) الطغيان الفكرى والعلمى :

بدأ طغيان الكنيسة الفكرى فى عهد مبكر حينما حظرت على العقل أن يفكر أو يناقش فى أمر الأسرار المقدسة المتصلة بالعقيدة ، ثم أخذ الطغيان شكلا آخر تمثل فى منع العقول من التفكير فى أمور الكون المادى بما تقتضيه الملاحظة والمشاهدة العلمية (٢) ، وهو مايسمى بالطغيان العلمى .

ويدور طغيان الكنيسة الفكرى والعلمى على محورين ظاهرين فى تاريخها وهما :

- موقف الكنيسة الكاثولوكية من حركات الاصلاح التى سميت " البروتستانت " .

- ثم موقف الكنيسة عموما من العلماء والمفكرين والداعين الى البحث العلمى فى الكون عن طريق الاستقراء والمشاهدة .

---

(١) سيد ابراهيم الجيار : دراسات فى تاريخ الفكر التربوى ص (١٤٢) .

(٢) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، ص (٤٧) .

وقد كان موقف الكنيسة الكاثوليكية من الحركة الاصلاحية الجديدة " البروتستانت " عنيفا جدا ، وبلغ حدا عظيما من البشاعة ، وأقيمت محاكم التفتيش وتابعت المخالفين ونكلت بهم أشد تنكيل .

وقد وصلت محاكم التفتيس الى اسبانيا وبلغت حدا من الهمجية والعنف بحيث شملت جميع المخالفين من أتباع لوثر ومن اليهود والمسلمين أيضا ، حتى أن احراق البشر كان وسيلة يستمتع بها الملك والمتفرجون هناك (١) .

وحتى بداية القرن السادس عشر كانت الكنيسة الكاثوليكية هى الكنيسة العامة فى أوروبا .

ولكن تغير الواقع من جهة وتطور التفكير ونفور الناس من تعسف وجمود الكنيسة من جهة أخرى ، كل ذلك أدى الى نجاح الحركات الاصلاحية الجديدة " البروتستانت " بزعامة مارتن لوثر فى ألمانيا ، وزويجلى وكالفن فى سويسرا ، وانتشرت منهما الى بلاد أوروبية أخرى (٢) .

وكان ذلك تمهيدا لعهد جديد وهو ما يعرف بعصر الاصلاح والتنوير (القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادى) .

وأما موقف الكنيسة من البحث العلمى وهو المحور الثانى لطغيانها فقد اتخذ طابعا خاصا ، اذ وقف رجال ودعاة العلم وحدهم فى مقابل الكنيسة الاوروبية بشقيها الكاثوليكى والبروتستانتى .

---

(١) عبدالعزيز محمد الشناوى : أوروبا فى مطلع العصور الحديثة : ص : ٥٧٩ ، ٥٨١

(٢) سيد ابراهيم الجيار : دراسات فى تاريخ الفكر التربوى: ١٥٩.

وكان الصراع فى هذا الجانب يمثل الصراع بين التـــــــراث اليونانى من جهة وبين الأفكار المسيحية من جهة أخرى (١) .

وعندما نادى فرنسيس بيكون (١٥٦٠ - ١٦٢٦) فـــــى كتابة الطريقة الجديدة (Novum Organum) بالطريقـــــة الاستقرائية العلميـــة " نظرت الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية الى هذا المفهوم بشك كبير وفزع عظيـم ، وأخذت تهاجمـــه " (٢) .

وظهر هذا الصراع على أشدة " حين قال العلمـــــاء أن الارض كروية وانها ليست مركز الكون ! ويعرف التاريـخ الأوروبـــــى من أبطالها ثلاثة أسمـاء شهيرة غير الأسمـاء الأخرى التـى لـــم تلمـع على صفحات التاريخ وهؤلاء هم : كوبر نيكوس و جرادانـــو برونو وجاليليو .

الأول : عالم فلكى بولندى عاش ما بين ١٤٧٣ و ١٥٤٣ م .

والثانى: فيلسوف ايطالى عاش ما بين ١٥٤٨ و ١٦٠٠ م

والثالث: عالم فلكى ايطالى عاش ما بين ١٥٦٤ و ١٦٤٢ " (٣) .

وقد مات كوبر نيكوس قبل انتشار آرائه وقبل وقوعه فى يـــد محاكم التفتيش الكنسية .

وأحرق برونو حيا بتهمة الخروج على تعاليم الكنيسة ، كمـا اضطر جاليليو الى أن ينكر كتاباته بتأثير الكنيسة الكاثوليكية (٤) .

---

(١) المرجع السابق : ١٠٤ .

(٢) سيد ابراهيم الجيار : دراسات فى تاريخ الفكر التربوى :١٦١.

(٣) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة : ٤٧ .

(٤) سيد ابراهيم الجيار : دراسات فى تاريخ الفكر التربوى :١٦٢.

ونخلص من هذا العرض الموجز الى أن أوروبا قد عايشت أزمة فكرية خانقة " فقد ساد أوروبا جهل عام وضعف عقلى ظاهر فقد كان مبلغ علم الأوروبيين بالتاريخ عبارة عن تطورات وهمية خيالية تدور حول أشخاص العظماء السابقين ، أما من حيث العلوم فكانت رؤوسهم محشوة بالخرافات التى لا تمت للعلم بصلة ، ويرجع هذا الجهل الى عوامل كثيرة منها احتكار رجال الدين للتربية والعلم والتعليم ، وكان هذا التعليم قاصرا على علوم الدين والقانون الرومانى وقانون الكنيسة وكانوا لا ينظرون بارتياح الى حرية التفكير أو البحث العلمى وكانوا يرمون كل من يقدم على شيىء من ذلك بالكفر والمروق على الدين ، وكانت جماهير الناس محرومة من تزويد نفسها بالعلوم والآداب اللاتينية التى لا يعرفها غير رجال الدين فحال ذلك دون انتفاع الجماهير بها ، هذا بالاضافة الى انتشار الخرافات والتعاليم السقيمة بين الناس مما أدى الى الركود العقلى وتخبط الجماهير فى دياجير الجهل والظلام "(١).

ومن هنا يتضح بأن حملة التمرد على الكنيسة الكاثوليكية والمتمثلة فى حركات الاصلاح الدينى أولا ، ثم الفرار من تعاليم الكنيسة، والاهتمام بالبحث العلمى المبنى على المنهج الاستقرائى ، كل هذا كان له ما يبرره من الظروف القاهرة التى أقامتها الكنيسة فى الحياة الأوروبية سواء فى مجال التوجيه والبحث أو فى مجال السياسة ، أو فى مجال العقيدة والايمان (٢).

---

(١) سيد ابراهيم الجيار : دراسات فى تاريخ الفكر التربوى (ص) ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) محمد البهى : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (ص) ٣٢٥ .

وقد تدرج تفلت الأوروبيين من الكنيسة ، ففى بداية الأمر كانت السطوة كلها والنفوذ للكنيسة ، وبالتدريج ، وبمرور الزمن أخذ الأوروبيون يتمردون على الكنيسة التى جمدت على تعاليمها وطقوسها ولم تستوعب حاجات العصر المتطورة ، فظهرت حركات الاصلاح الدينى ، وظهرت كذلك نداءات - خاصة فى عصر النهضة - تطالب بالحد من سلطان الكنيسة وتحرير العلم من الخرافات والقيود الكنسية ، واطلاق حرية الفكر والبحث العلمى.

وأدى هذا الى توالى ظهور بعض الاختراعات والكشوف الجغرافية (١) .

وكذلك بدأ الصراع فى عصر النهضة على توجيه التربية فظهرت المطالبة بعلمنة التربية والتعليم ، وجعله تحت اشراف السلطة المدنية (الاشراف المدنى) بدلا من اشراف وسيطرة الكنيسة على التعليم (٢) .

" وبينما كانت العقود والقرون تنقضى كانت السلطة الروحية للتفكير الدينى المسيحى تضعف شيئا فشيئا .

وفى القرن الثامن عشر أزيلت سيطرة الكنيسة تماما بفعل الثورة الفرنسية (*) فى فرنسا نفسها ، ثم بآثار تلك الثورة فى البلاد الأخرى (٣) " .

---

(١) عبدالعزيز محمد الشناوى : أوروبا فى مطلع العصور الحديثة ص (٦٠ ، ٦٢)

(٢) سيد ابراهيم الجيار : دراسات فى تاريخ الفكر التربوى ، ص (١٤١) .

(٣) محمد أسد : الاسلام على مفترق الطرق ،ص (٤٤) .

(*) وتسمى الثورة الصناعية وقامت عام ١٧٨٩م .

ثانيا : ظهور الاتجاه الوضعى :

فى معرض الحديث عن نشأة الموضوعية ، لابد أن يكون للوضعية نصيب من الحديث دون غيرها من المذاهب وذلك لسببين :

الأول : أثر الوضعية الواضح فى سير الفلسفة وتطورها فى أوروبا كلها ، وتعمقها فى كل ميادين الحياة (الفلسفة ، العلوم ، الفن الأدب ، الدين ، السياسة ، التربية ... الخ) .(١)

الثانى : علاقة الوضعية المباشرة بالموضوعية باعتبارها مصطلحا فى منهج البحث العلمى فى العلوم التربوية والاجتماعية عموما .(٢)

(١) الوضعية التجريبية :

أخذت المفاهيم المادية عموما تتفشى فى أوساط أوروبا كلما زادت حدة الخلاف مع الكنيسة والمفاهيم الميتافيزيقية عامة ومن هنا بدأت تظهر صيحات التأييد للطريقة العلمية الاستقرائية فى مقابل الفلسفة المثالية .

---

(١) ج. بنروبى : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا ص (١٦) .

(٢) محمد على محمد : علم الاجتماع والمنهج العلمى ، ص (٢٠٩) .

وكان من الأسماء اللامعة فرنسيس بيكون (١٥٦٠- ١٦٢٦) الذى يعتبر رائد الوضعية التجريبية .

وبيكون يعد من أبرز الشخصيات المفكرة فى عصر الاصلاح فقد دعا بلغة صريحة واضحة الى الطريقة العلمية بوصفة داعية للعلم فى ذلك العصر .

ونبعت دعوة بيكون الى الطريقة العلمية فى البحث من شعوره بأن الناس قد سيطرت عليهم الخرافات والأساطير وفلسفة أرسطو ، وانغمسوا فى الألفاظ اللغوية بصورة أذهبت اهتمامهم بمعرفة الطبيعة .

ولذلك رأى بيكون بأن الحل يكمن فى الاعتماد على العلم والطريقة العلمية (١) .

وتبدو دعوته للطريقة العلمية واضحة من خلال الأسس التى أعلنها بقوة والتى نادى فيها بتقديس الطريقة العلمية وعدم عزو أية قيمة حقيقية الا الى العلم الذى هو قوة .

وكذلك نادى بيكون بابعاد البحث عن الغايات خارج نطاق العلم ، وقرر أن قوانين الطبيعة هى وحدها التى تؤدى الى الاختراع (٢) .

(٢) المذهب الوضعى - أوجست كومت (١٧٩٨ - ١٨٥٧ م)

لم يكن مفهوم الوضعية الذى جاء به أوجست كومت جديدا على الواقع الأوروبى فى كل جوانبه ، فقد ذكرنا أن فرنسيس بيكون

---

(١) سيد ابراهيم الجيار: دراسات فى تاريخ الفكر التربوى ، ص (١٦٠).

(٢) ج . بنروبى : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا ص (٧) .

سبقه فى الدعوة الى المنهج الاستقرائى التجريبى ٠

وأوجست كومت نفسه ذكر من بين أسلافه الحقيقيين أرسطو فى العصر القديم ، وبيكون وديكارت وليبنتس من العصر الحديث وأخيرا ذكر أوجست كومت هيوم وكنت وكندو رسيه ودى ميستر (de Maistre) وبشا (Bichat) وجال (Gall) أسلافه الستة المباشرون (١) ٠

وكذلك تأثر كومت بسان سيمون عندما كان كومت سكرتيرا له فنقل له سان سيمون الفكره التى تقرر بأنه يمكن تحويل الظاهرات الاجتماعية الى قوانين تعبر عنها ، شأنها فى ذلك شأن الظواهر الفيزيائية (٢) ٠

ولكن بالرغم من أن كومت سبق من بعض أسلافة ببعض المفاهيم عن التجريب والطريقة العلمية ، الا أنه يعد هو المنشئ الحقيقى للمذهب الوضعى (٣) ٠

ويمكن أن يقال بايجاز بأن من سبق كومت من العلماء والمفكرين قد ساهموا فى بناء المذهب التجربى عموما ، ولكن " لم يأخذ هذا "المنهج التجربى*" مكانه فى تاريخ الفلسفة - كمدرسة - الا على عهد الفيلسوف الفرنسى كومت (Comte) فى القرن التاسع عشر (١٧٩٨ - ١٨٥٧ م) ، ومنذئذ عرف " بالمذهب (Positivism) ٠

---

(١) ج ٠ بنروبى : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا ص (١٠) ٠

(٢) ويل ديورانت : قصة الحضارة ، ص (٥٩٦) ٠

(٣) ج ٠ بنروبى : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا ص (١٠) ٠

* المنهج التجريبى بمعنى اعتماد البرهان الحسى فى مجال الحسيات استعمله المسلمون ونادوا به قبل " كومت " بكثير ، وهذا ما اعترف به كثير من مفكرى الغرب المنصفين ٠

ثالثا :

الأسس التى قامت عليها الفلسفة الوضعية :

الوضعية ليست نظرية مجرده أبدا ، بل هى مذهب يمثل فلسفة مميزة للقرن التاسع عشر فى أوروبا .

وهذه الفلسفة تنفذ فى جماع الفكر والعمل . تنفذ فى نظرية المعرفة ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، والأخلاق، والجمال ، والدين ، والفن ، والسياسة ، والتربية .(٢)

والفلسفة الوضعية لها أسس قامت عليها ، وأبرز هذه الأسس ثلاثة ، وهى : انكار التفكير الميتافيزيقى ، ونسبية الحقائق وتدرجها ، والمطالبة بالطريقة العلمية القائمة على التجريب .

ولمزيد من الايضاح يمكن القاء الضوء على هذه الأسس الثلاثة .

١- انكار التفكير الميتافيزيقى* :

من الأسس الهامة التى قامت عليها الفلسفة الوضعية انكار كل تفكير ميتافيزيقى ، واستبعاد البحث فى الغايات الكبرى والعلل الأولى .

---

(١) محمد البهى : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص (٣٠٠) .

(٢) ج . بنروبى : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا ص (٧) .

* أى التفكير المجرد الذى لا يقوم على ما هو ملموس ومحسوس .

ومن ثم الاقتصار على دراسة الواقع المحسوس ومعالجته بمناهج البحث التجريبى . حتى أن الفلسفة الوضعية اعتبرت بأن ظهور التفكير العلمى قد أفقد الفلسفة الميتافيزيقية مبرر وجودها حتى انها لم تعد صالحة لهذا العصر (١) .

وفكرة رفض التفكير الميتافيزيقى ردة فعل طبيعية للواقع الذى عاشته أوروبا خلال قرون طويلة ، فرضت فيها الكنيسة سطوتها بالحديد والنار ، وكبلت العقول لكى لا تفكر ، وعطلت الطاقات لكى لا تبدع .

وقد مارست الكنيسة كل ذلك باسم الدين وباسم الأسرار الميتافيزيقية التى لا يعلمها الا كهنة الكنيسة ! ومن ثم كانت ردة الفعل الطبيعية ، وهى هروب مفكرى أوروبا من قبضة الكنيسة ونبذها كل تفكير ميتافيزيقى معها .

" ومع هذا كله لم تكن دعوة الوضعيين جديدة من كل وجه ، فقد سبق الى القول بمقوماتها أقرانهم من الحسيين منذ أقدم العصور ، فأنكروا كل ما وراء الواقع من حقائق ابستمولوجية وقيم أخلاقية ، وبالتالى استخفوا بكل مفكر يضيع جهوده فى مثل هذه الأوهام ! " (٢) .

وانكار الوضعية للتفكير الميتافيزيقى ذهب بها الى تقدير الطبيعة لا باعتبارها مصدرا مستقلا للمعرفة فحسب ، بل باعتبارها مصدرا فريدا للمعرفة اليقينية (٣) .

---

(١) توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ص (٢٤٣) .
(٢) توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ص (٢٦٤) .
(٣) محمد البهى : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص (٣٤٣) .

وهذه النزعة المادية كانت بتأثير المنهج التجريبى الذى ساد فى أوروبا خلال القرن التاسع عشر والذى نشأت الوضعية فى ظله (١) .

٢ -- نسبية الحقائق وتدرجها :

يرى كومت أن العقل البشرى تدرج فى المعرفة من خلال مروره بثلاث مراحل وهى : المرحلة اللاهوتية ، والمرحلة الميتافيزيقية والمرحلة الواقعية الوضعية .

أما فى المرحلة الأولى فكان الانسان يرجع أفعال الكائنات الطبيعية الى موجودات غير منظورة ، تؤلف عالما علويا ، تمثل فى تعدد الآلهة أولا ، ثم فى اله واحد (٢) .

وفى المرحلة الميتافيزيقية ، أرجع الانسان الظواهر الى علل ذاتية ، مثل القوة الكيميائية والقوة الحيوية والمرونة خلافا للمرحلة اللاهوتية التى عزا فيها الانسان الظواهر الى موجودات خارجة عنها (٣) .

وفى المرحلة الواقعية الوضعية ، حلت الملاحظة محل الخيال والاستدلال ، وحلت القوانين التى تحكم العلاقات المضطردة فى الظواهر ـ محل العلل الذاتية التى كانت سائدة فى المرحلة الميتافيزيقية (٤) .

---

(١) محمد باقر الصدر : فلسفتنا ص (٩١) .

(٢) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ،ص (٣٠٥) .

(٣ ، ٤) المرجع السابق ص (٣٠٦) .

والمرحلة الأخيرة هى التى استقر عليها الفكر البشرى فى نظر الوضعية ، ولهذا رفض الوضعيون كل تفكير قبلى ميتافيزيقى، وبدت عندهم الحقائق نسبية متغيرة ، ويشهد بهذا تقسيمهم لتاريخ التفكير البشرى (١) .

وقد رتب كومت العلوم حسب البساطة والتعميم كالتالى :

الرياضة - الفلك - الطبيعة - الكيمياء - علم النبات - علم الاجتماع ، واعتبر أن العلم بمعنى المعرفة اليقينية ، يتدرج من علم الى علم حسب الترتيب السابق ، لأن كل علم من تلك العلوم مرتكز على نتائج العلوم التى تسبقه (٢) .

والأخلاق عند كومت نسبية ، تتوقف على الظروف (الوسط) الذى يحيط بنا .

حتى أن كومت ذهب الى أن الأخلاق تختلف كليا لو تغيرت ظروف حياتنا كلها (٣) .

ولذلك رأى كومت أن الملاحظة والتجريب ينبغى أن يؤلفا أساس الأخلاق .

ومن خلال هذا العرض البسيط ، يتبين أن الوضعية ترى أن الحقائق نسبية متدرجة ، بحيث أن كل مرحلة من مراحل التفكير البشرى تتطور لتظهر المرحلة التى تليها ، الى أن وصل الأمر الى مرحلة الواقعية أو الوضعية .

---

(١) توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية ، نشأتها وتطورها ص (٢٤٣)

(٢) أحمد أمين ، زكى نجيب محمود : قصة الفلسفة الحديثة (ج) ص (٣٠٤) .

(٣) ج . بنروبى : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا ص (١٥) .

وقد نظرت الوضعية الى الاخلاق كذلك على أنها نسبية ومفاهيمها موقته ، فالخيرات عندهم كالحقائق تتغير بتغير الواقع (١)

٣ - الطريقة العلمية التجريبية :

الفلسفة الوضعية لا تعتبر شيئا ما حقيقياً وواقعيا الا اذا جاء نتيجة لتجارب الحس ، ويمكن مع ذلك اختباره بالحس ، بمعنى أن الذى لا يحس لا معنى له ، والتالى لا حقيقة له فى الفلسفة الوضعية (٢) (٣) .

وقد اعتمدت الفلسفة الوضعية التجريب فى مجال العلوم الانسانية والتربوية ، وذهبت الى أن العلوم الانسانية لها قوانين تحكمها كما هو الحال فى العلوم الطبيعية ، وكتب أوجست كومت نفسه فى ذلك قائلا : " اننى سأقدم برهانا فعليا على وجود قوانين محددة لارتقاء العنصر الانسانى ، كما توجد قوانين لسقوط الحجارة " (٤) .

---

(١) ج . بنروبى : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا ص (١٥).

(٢) محمد البهى : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص (٣٠٠) .

(٣) نوال الصراف الصايغ : المرجع فى الفكر الفلسفى ص (٢٦٦) .

(٤) أرنست كاسيرر : فى المعرفة التاريخية ،ص (٤١) .

وهذا الاتجاه برز فى الفلسفة الوضعية من خلال الأزمة التى كانت تعانيها العلوم الاجتماعية عموما ابان العصور الحديثة، و ذلك لأن حظها من خدمة البشرية يعد ضئيلا بالقياس الى ما حققته العلوم الطبيعية من خدمات للمجتمع الانسانى ، ورفاهية أبنائه . ومن هنا لجأ المشتغلون بالعلوم الاجتماعية الى تغيير مناهجها حتى يصبح لها من النفع ما للعلوم الطبيعية ، فأدى بهم هذا الى تطبيق مناهج العلوم الطبيعية التجريبية على العلوم الاجتماعية (١) .

ونظرا لعدم وجود منهج واضح للعلوم الانسانية لجأ كومت الى اتخاذ مناهج التفكير العلمى كما هو الحال فى مباحث العلم الطبيعى ، ولذلك رفض كومت البحث فى العلل الأولى والغايات البعيدة ، واتجه الى وضع بعض القوانين التى تفسر الظواهر الأخلاقية تمهيدا للتحكم فيها والسيطرة عليها والافادة منها فى الواقع (٢) .

وقد حذا " اميل دور كايم " + ١٩١٧ - زعيم المدرسة الاجتماعية الفرنسية - حذو كومت " فجعل بدوره علم الاجتماع محور دراساته ، ومن هنا جاء اهتمامه بدراسة الظاهرة الاجتماعية توطئة لاقامة الاجتماع علما واقعيا مستقلا ، فهى عنده تنشأ خارج شعور الفرد كحقيقة موضوعية ، تؤثر فى الفرد وتوجه سلوكه

---

(١) مجموعة المؤلفين : اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، ص (١٧) .

(٢) توفيق الطويل : الفلسفة الأخلاقية ، نشأتها وتطورها ص (٢٤٦)

وتفكيره وشعوره على غير ارادة منه ، بل ليس فى وسعه أن يقاوم تأثيرها ، وهى تخضع لقوانين علمية - شأنها شأن الظواهر الطبيعية ، وهذا يبرر اخضاعها لدراسة علمية موضوعية لا تتدخل فيها أهواء الباحث وعواطفه "(١)

رابعا : نقد الوضعية :

لم تسلم الوضعية من النقد ، بل انتقدت كغيرها من النظريات والمذاهب البشرية التى لا تخلو من النقص والاضطراب .

ويمكن أن يتناول النقد للمذهب الوضعى قضايا رئيسية ثلاث وهى :

موقفها من الميتافيزيقا ، ومدى تعميم الوضعية على المجتمعات المختلفة وبعض التناقضات التى تنطوى عليها أسس الوضعية ذاتها .

١ - الوضعية والميتافيزيقا :

"لقد بقى الروح الأوروبى قرونا طوالا يرزخ تحت عبء نظام دينى يطوى فى نفسه احتقار الحياة واحتقار الطبيعة .

ومن الجلى أن مثل هذا النظام لا يحث على نشاط الجهود المتعلقة بالمعارف الدنيوية ولا بتحسين الحياة على الأرض "(٢) .

---

(١) توفيق الطويل : الفلسفة الأخلاقية ، نشأتها وتطورها ص (٢٥١)

(٢) محمد أسد : الاسلام على مفترق الطرق ، ص (٤٠) .

وشك المفكرون ورجال العلم فى أوروبا فى مصداقية الميتافيزيقا والدين عموما ، حتى أنهم شكوا فى كل نتاج وافراز للميتافيزيقا من قيم وأخلاق .

وبدت عند كثير منهم مقاييس الخير والجمال والقيم مهتزة غير ثابتة ، حتى أن الوضعية التى جاء بها كومت صرّحت بأن الانسان يستطيع أن يشكل قيمه بنفسه ، ويحولها الى دين وضعى يضبط حركته الاجتماعية ، ولا حاجة بعد ذلك للأديان والقيم القديمة . (١)

ومما لا شك فيه أن الارهاب والقسوة التى صاحبت المفاهيم الميتافيزيقية والمتمثلة - فى معظمها - فى رجال الكنيسة قد تركت أثرا سيئا فى موقف الأوروبيين من الميتافيزيقا خاصة رجال الفكر والمطالبين بالبحث العلمى المتحرر من الذاتية والخرافة .

وبسبب الممارسة السيئة لرجال الدين فى أوروبا والجمود الفكرى للكنيسة ، ظهر انطباع عام عند معظم الأوروبيين بأن الميتافيزيقا تعنى المثالية السوفسطائية والتخلف ومحاربة كل سبيل للتقدم ومن هنا انتهى الأمر برجال العلم والفكر فى أوروبا أن نبذوا الميتافيزيقا ودين الكنيسة . *

---

(١) محسن عبدالحميد : المذهبية الاسلامية والتغيير الحضارى ، ص (٧٢) .

* هذا هو الطابع الغالب فى أوروبا ، الا أن بعض مفكرى أوروبا ظلوا محتفظين بتأييدهم للميتافيزيقا . وقد زادت حدة الهجوم على التيار المادى فى أوروبا فى العقود الأخيرة من هذا القرن .

" ودون مفارقة يمكن أن نسمى هذه الوضعية باسم " السلبية" صحيح أنها تتوقف الى حد بعيد على سمو العلم فى القرن التاسع عشر ، لكن جذرها الأعمق سلبى فى جوهره : فالدافع الى إنشائها هو الحاجة الى القيام برد فعل ضد الميتافيزيقا التقليدية وخصوصا ضد المبالغات التلفيقية .

لقد أرادت الوضعية أن تستبدل بالفلسفة " المنهج العلمى " وأن تصل بذلك الى " فلسفة علمية " تتخلى عن ادراك طبيعة الأشياء لتقتصر على دراسة الظواهر "(١).

ومع نهضة العلم اعتقد كثير من الناس بأن الميتافيزيقا انتهى دورها فى التاريخ لأنها بدت غير قابلة للقياس والتحقيق فى حين بدت المكتشفات العلمية جديرة بالاحترام (٢).

والذى يبدو بوضوح هو أن الميتافيزيقا والعلم نشاطان مختلفان من أنشطة الانسان وممارساته الفكرية ، وليسا نديين متناقضين ، بل هما وجهان متكاملان من المعرفة الانسانية . والاختلاف بينهما يكمن فى وسيلة كل منهما للوصول الى المعرفة ، والقضايا التى يعالجها كل منهما .

فالميتافيزيقا تعالج مفاهيم لا يمكن قياسها ، والعلم بصفة عامة يعالج مفهومات تخضع للقياس ، ولكن العلم نفسه كثيرا ما يثير تساؤلات ميتافيزيقية لا يستطيع العلم نفسة الاجابة عليها(٣).

---

(١) ج . بنروبى : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى أوروبا ص(٧)

(٢) جورج.ف.. نيلو : مقدمة الى فلسفة التربية ، ص (١٠)

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٢ - الوضعية والتعميم :

المقصود من هذا العنوان هو بيان ما اذا كانت الوضعية مفهوما صالحا يمكن أن يعمم على جميع المجتمعات ، أم أن مفاهيم الوضعية وليدة عوامل بيئية ونتاج مجتمع له خصوصيته الثقافية والمعرفية ، ومن ثم لا يمكن تعميم مفاهيمها على المجتمعات التى تختلف فى كثير من القضايا الثقافية والمعرفية عن المجتمع الذى نشأت فيه الوضعية .

ومن المعروف أن الوضعية ركزت كثيرا على موضوع التجريب والقياس ، وقد ارتبط موضوع القياس بالثورة الصناعية فى أوروبا حين كانت الحياة الاجتماعية فى أمس الحاجة الى القياس والتدقيق فى الانتاج والسلع والمخترعات ، ومن هنا نشأ الافتراض بأن كل معرفة لا تخضع للقياس فهى معرفة لا قيمة لها (١) .

ومن هنا يظهر أن الوضعية كانت وليدة ظروف وزمان ومجتمع معين ، له خصوصيته الثقافية والسلوكية .

ولذلك فالوضعية لا يمكن أن تشمل فى نظرتها ومفاهيمها المجتمعات الأخرى التى تخالف ذلك المجتمع فى التاريخ والثقافة ودرجة التقدم المادى .

---

(١) حامد عمار : المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ص (٣٩) .

ومن الملاحظ أن كومت حاول أن يجعل أفكاره قانونا يسري على كل المجتمعات دون استثناء ، مع أن المجتمعات يختلف بعضها عن بعض في بنياتها وأنظمتها وطبيعتها . وبذلك فان تلك الافكار التي نادى بها كومت تعتبر مجرد فروض فلسفية . وهذا يقلل من أهمية المنهج الوضعي .(١)

أما قانون الحالات الثلاث التي مر بها العقل البشري، فلا تصدق على كل المجتمعات .

بل إنه يمكن أن يلاحظ بوضوح أن الحالات الثلاث التي مر بها العقل البشري - على زعم كومت - يمكن أن تكون متعاصرة وتسير جنبا الى جنب في مجتمع ما .

وهذا يدل على أن تلك الحالات الثلاث ليست أدوارا تاريخية بمعنى أن كلا منها ناسخ للآخر ، بل هي تيارات متعاصرة في كل الشعوب .(٢)

فقد فهم الأقدمون كثيرا من الحقائق الرياضية والفلكية فهما وضعيا قبل ظواهر العلوم الأخرى ، في حين أن بعض المجتمعات لازالت تفسر الحقائق العلمية تفسيرات مختلفة ما بين ميتافيزيقية ودينية وعلمية ، وهي تعيش في نفس العصر .(٣)

---

(١) عبدالباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعي ، ص (٨٧) .

(٢) محمد عبدالله دراز : الدين ، ص (٨٥) .

(٣) مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه ص (٢٥٩ - ٢٦٠) .

وبالرغم من أن هناك كثيرا من القضايا التى لا يمكن قياسها كالقيم والأخلاق - وهى بلا شك قضايا على درجة من الأهمية فى كل وقت - الا أن هناك عرفا شائعا مؤداه أنه لا يقوم علم بدون قياس ، وهو عرف سائد رغم أنه ليس هناك ما يبرره الا فى العلوم الطبيعية (١) .

٣ - تناقض فى المذهب الوضعى :

اعترى مذهب أوجست كومت الوضعى شيىء من التناقض فى أسسه وقواعده التى نادى بها ، فقد رأى كومت أن البحث العلمى يقتضى من الباحث ألا يستند الا الى ملاحظة الوقائع الموضوعية والى التاريخ حتى يصل الى نتائج وقوانين صادقة .

ولكن لو اكتفى كومت بهذه المصادر المعرفية وحدها لما وصل به الأمر الى حد اليقين والجزم بالقوانين التى نادى بها مثل : عقيدة ثبات قوانين الطبيعة ، وقانون الأطوار الثلاثة ، وسيادة الايثار على الأثرة باعتباره شكلا سويا للنشاط الانسانى (٢) .

وهذا يدل على أن كومت استعان بمصادر أخرى للمعرفة ومنها مصادر قيمية وذاتية لا يمكن قياسها .

---

(١) حامد عمار : علم الاجتماع ومدارسه ، ص (٤٠) .

(٢) ج . بنروبى : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا ص (١٢) .

أما الوقائع الموضوعية - حسب فهم كومت - والتاريخ ، فلا يكفيان أبدا للتدليل على صحة القوانين التى توصل لها كومت ولا تحكم عليه بالتزام مبادىء البحث العلمى التى نادى بها .

ويمكن القول بأن كومت لم يستطع التحرر من أساليب التفكير الفلسفى ، فبدلا من أن يبدأ بالجزئيات وينتهى بالقوانين الكلية حسب المنهج الاستقرائى ، ذهب كومت مذهبا معاكسا ، اذ وضع القوانين والنظريات العامة ، ثم حاول أن يفسر على ضوئها الظواهر الاجتماعية (١) .

هذا ، بالاضافة الى أن كومت " جعل الفلسفة الوضعية أداة اصلاح وتعمير للوطن الذى دمرته الثورة الفرنسية العاصفة - على غير ما يقتضى منهج البحث العلمى الحديث فى توجيه الدراسة لكشف الحقائق - وأنه أقام وضعيته على أساس من تاريخ التفكير البشرى تاريخا وهميا لا سند له من الواقع (٢) " .

وكذلك فان كومت جعل تطور التفكير سببا لتطور الظواهر الاجتماعية ، فى حين أن تطور شئون المجتمع ينتج عن عوامل كثيرة تتفاعل آثارها فتحدث تغيرا فى المجتمع . وما تطور التفكير ذاته الا مظهر من مظاهر تطور المجتمع (٣) .

---

(١) عبدالباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعى ، ص (٨٦)

(٢) توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية - نشأتها وتطورها ص (٢٤٤)

(٣) مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه ، ص (٢٦٠) .

وكان كومت يرى أن البشرية الآن فى طور الواقعية العلمية وهى مرحلة تجاوز فيها العقل البشرى طور التفكير الميتافيزيقى والدينى .

الا أن كومت عندما أحب فتاة تدعى " كلوتلد دى فو " قد تغيرت مشاعره ، وتلون فكره بلون جديد ، وأخذ يمجد الشعور ويعتبره فى منزلة أعلى من العقل باعتباره وسيلة الاصلاح .

وانتهى كومت بأن العالم لاصلاح له الا بدين جديد يغذى شعور الايثار الخافت عنده . (١) *

وقضى كومت أيام كهولته فى التمهيد لهذا الدين الجديد (دين الانسانية) ووضع له طقوسا تشبه طقوس الكنيسة . (٢)

وهكذا يتقهقر تاريخ الفكر عند كومت من طور الواقعية العلمية الى الطور الدينى والميتافيزيقى ، وهذا ما ناقض فيه أسسه الوضعية التى تقضى بأن العقل البشرى يتدرج فى المراحل الثلاث ، واذا كان فى مرحلة فلا يعود الى المرحلة التى تسبقها .

---

(١) أحمد أمين ، زكى نجيب محمود : قصة الفلسفة الحديثة ، (ج) ، ص (٣٠٥) .

(٢) المرجع السابق : نفس الصفحة .

* وهذا يدل على أن الميل الى التدين ميل فطرى عند الانسان ولكن أوروبا استبدلت بمنهج الله ودينه منهجا منحرفا ودينا منحرفا ايضا .

وبعد استعراض أهم الملابسات الفكرية والتاريخية فى أوروبا قبل الثورة الصناعية ، وذكر أهم المفاهيم التى يقوم عليها المذهب الوضعى يتقرر مايلى :

* الملابسات التاريخية والفكرية التى عاشتها أوروبا قبل الثورة الصناعية كانت تمهيدا لردة الفعل الطبيعية لظهور المفاهيم التى ينطوى عليها المذهب الوضعى الذى أنكر كل تفكير ميتافيزيقى ودينى ، ولم يعترف الا بسلطة التجربة المحسوسة .

* اظهار أهم الأفكار والمبادىء التى يقوم عليها المذهب الوضعى مهم جدا عند الحديث عن نشأة الموضوعية ، وذلك لأن الموضوعية بمعناها الغربى هى وليدة المذهب الوضعى الذى صاغه كومت (١) .

وقد جاء مصطلح الموضوعية ـ على ألسنة كثير من الكتاب ـ مرادفا لمعنى الوضعية من حيث انكار كل ماهو خارج عن نطاق المحسوس ، والاعتراف فقط بسلطة التجربة والواقع (٢) .

ومن هنا فان الحديث عن الوضعية ونقدها ، هو حديث عن الموضوعية ـ بمعناها الغربى ـ ونقد لها باعتبار أن المذهب الوضعى يمثل الأصول الفكرية والفلسفية التى استمد مصطلح الموضوعية ـ فى الغرب ـ مفهومه منها .

---

(١) محمد على محمد : علم الاجتماع والمنهج العلمى ، ص ٢٠٩ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة . و (انظر) معن خليل عمر : الموضوعية والتحليل فى البحث الاجتماعى ، ص ١٧ .

خامسا : علاقة الموضوعية بالفلسفة :

الروّية الموضوعية للعلوم التربوية والعلوم الانسانية عموما تعتمد على مفهوم المعرفة ومصادرها ومدى امكانية وقوعها . ولهذا السبب فالموضوعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالفلسفة العامة في المذاهب البشرية عموما ، ونابعة من العقيدة الاسلامية في التصور الاسلامي ، كما سيظهر ذلك في فصل قادم من البحث .

والموضوعية يمتد مفهومها لتوّدي الى موقف كامل وتصور محدد للعلوم الانسانية عموما ، ماذا تدرس ؟ وبأي منهج ؟ ولأي هدف ؟ (١) وبالقدر الذي تختلف فيه وجهات النظر الى العلوم الانسانية تتعاير وجهات النظر تجاه الموضوعية . فهي لذلك ليست شيئا واحدا عند الباحثين (٢) .

واذا كان الفلاسفة يكادون يجمعون على " أن الفلسفة نظرة شاملة ، تحيط بكل جوانب الحياة الانسانية فكرا وسلوكا (٣) " ، واذا كانت الفلسفة لها دور مهم في العلوم الانسانية اذ أنها تمثل

(٢،١) صلاح قنصوة : الموضوعية في العلوم الانسانية ، ص ٦٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٦٠ .

" اطارات مرجعية يستمد منها الباحث مخططاته التصورية "[1] ، فلا شك اذا أن الفلسفة فى المذاهب البشرية* لها الدور الفعال فى تحديد مفهوم الموضوعية من حيث اختيار مادة البحث ومنهجه والهدف منه .

ومن المنطقى أن تختلف المذاهب الفلسفية فى مفهوم الموضوعية وذلك لاختلافها فى طبيعة المعرفة وحقيقتها .

فالفلسفة المثالية تختلف فى نظرتها لمصادر المعرفة وطبيعتها عن الفلسفة الواقعية .

أما المثالية فترى أن الاشياء ماهى الا انعكاس للأفكار الموجودة فى العقول البشرية ، وأن الوجود الحقيقى يقتصر على الفكر ، وأن الأشياء لاوجود لها بصورة مستقلة عن الذات .

وأما الواقعية فترى أن الأشياء لها وجود عينى مستقل عن الذات العارفة ، ومن ثم فالمعرفة صورة مطابقة لحقائق الأشياء فى العالم الخارجى[2] .

---

(١) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ، ص ٦٢ .

* أما فى الاسلام فالذى يحدد المفاهيم العقيدة وليس الفلسفة .

(٢) أحمد فؤاد الباشا : فلسفة العلوم بنظرة اسلامية ، ص ١٧ .

ولذلك ينعكس الاختلاف فى هذه المفاهيم على مفهوم الموضوعية فى كل من الفلسفتين ٠

فالمثالية تبرز فى مفهومها للموضوعية عالم الأفكار المتمثل فى العقل والادراك ٠

بينما تبرز الواقعية فى نظرتها للموضوعية الأشياء المحسوسة فى العالم الخارجى ، فهى ترى أن الحسن المشاهد - لاغيره - هو مصدر المعرفة اليقينية (١) ٠

وكذلك ينعكس اختلاف الفلسفات على مفهوم القيم وأولوياتها " فالمثالى الفلسفة ... يقول بوجود سلم ثابت للقيم ، تحتل القيم الروحية فيه مكانا أعلى من القيم المادية ٠

والمثالى يضع القيم الدينية فى مستوى عال لأنها - كما يقول - تساعدنا على تحقيق هدفنا الأقصى ، وهو الاتحاد بالنظام الروحى ٠

ويؤمن الواقعى الفلسفة أيضا بسلم القيم ، ولكنه يضع القيمة العقلية والتجريبية الحسية فى أعلاه ، لأنها تساعدنا على التوافق مع الواقع الموضوعى ، وقوانين الطبيعة وقواعد المنطق ٠

---

(١) محمد البهى : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٢٩٧ ٠

اما البراجماتى الفلسفة فينكر وجود سلم متدرج ثابت للقيم ففى نظره أن أى نشاط كأى نشاط آخر فى صلاحيته اذا ما أرضى حاجة ملحة ، فله اذن قيمة ذرائعية " (١) .

وينعكس كذلك اختلاف الفلسفات على النظرة الى القيم التى بدورها تنعكس على مفهوم الموضوعية ، فالمتدين مثلا " يرى التفريط فى العرض والعفاف شرا .

بينما يراه الوجودى حماقة . والمتدين يرى ضبط النفس فضيلة . بينما يراه الفرويدى شرا بسبب الكبت الذى يورث فى زعمه أمراض النفس " (٢) .

وكذلك يلاحظ أن المتدين يرى صورة المرأة العارية قبيحة وذلك لأنها تخرق قيمة ثابتة عنده يؤمن بها ويلتزم بها . وقد يراها غير المتدين جميلة لأنها تخاطب شهوته وحواسه وحدها ولا تخاطب ضميره وخلقه اللذين يختلف فيهما عن الانسان المتدين (٣) .

---

(١) جورج . ف . نيلو : مقدمة الى فلسفة التربية ، ص (٣٤-٣٥)
(٢) محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها ، ص ١٠٦ .
(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وعندما يكون الحديث هنا عن المثالية أو الواقعية ، فانه يجدر أن يكون واضحا تفرد النظرة الاسلامية عن المناهج البشرية كلها .

فالمناهج البشرية من مثالية وواقعية وغيرها عبارة عن نظرات جزئية غير مكتملة للواقع الذى يشمل الروح والعقل والمادة .

ومن هنا نجد أن المناهج البشرية مختلفة اختلافا يصل بها أحيانا الى حد التناقض .

أما النظرة الاسلامية المستمدة من العقيدة فهى نظرة ربانية شاملة وواقعية فى نفس الوقت ، اذ أنها تتعامل مع الانسان المتكامل بعقله وروحه وجسده ، وتتعامل مع الظواهر والوقائع معاملة تفى بجميع جوانبها فى تكامل وتناسق .

الفصل الثالـــــث

اشكالات الموضوعية فى العلوم التربوية

* المبحث الا ّول : اشكالات متعلقة بالباحث
  * أولا : الا ّيديولوجيا
  * ثانيا: القيـــــم
  * ثالثا : الذاتيـــــة
* المبحث الثانى : اشكالات متعلقة بطبيعة الموضوع
  * أولا : التجريب
  * ثانيا :التعبير الكمى " القوانين "
  * ثالثا: العالمية

الفصل الثالث

(اشكالات الموضوعية فى العلوم التربوية)

اشكالات الموضوعية فى العلوم التربوية والعلوم الاجتماعية عموما تدور حول قضية يمثلها محور رئيسى وهو " هل تعد الظاهرة الاجتماعية واقعة موضوعية أم ظاهرة انسانية ؟ وهل يمكن دراستها من خلال اجراء التجارب والملاحظات المضبوطة ، أم أنها تقتضى استخدام منهج آخر ؟ " (١) .

وهذا المحور يشمل جانبين هما :

* الباحث .
* الموضوع .

فطبيعة التفاعل بين الباحث والموضوع تحدد مدى علمية وموضوعية الظاهرة التربوية ، كما تبين كذلك أوجه التباين والاختلاف بين الظاهرة التربوية من جهة ، والظاهرة الطبيعية من جهة أخرى .

---

(١) نبيل محمد السمالوطى : الأيديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر ، ص ٦٩ .

وقبل الحديث عن اشكاليات الموضوعية فى العلوم التربوية يود الباحث ان يشير الى الآتى :

- الأيديولوجيا والقيم الغربية تعتبر عوائق واشكالات فى طريق الموضوعية فى المجتمعات الغربية ، أما فى المجتمع المسلم فان العقيدة والقيم الاسلامية تعتبر من مقومات النظرة الموضوعية فى العلوم التربوية ، بل تعتبر هى الضوابط التى تساعد الباحث على البقاء فى دائرة الأمان العلمى ، بحيث لايخرج عن اطار فطرته وقدرته المحدودة .

- يطالب الكثير من مفكرى الغرب الباحثين بأن يتخلوا عن قيمهم وعقائدهم لكى تكون أبحاثهم موضوعية وعلمية وذلك لان قيم الغرب وعقائده باطلة وفاسدة ولا تصلح أن تكون ضوابط للبحث العلمى . اما فى المجتمغ المسلم فيطالب الباحثون بالتمسك بالعقيدة والقيم الاسلامية .

- سوف يفرد الباحث الفصل الرابع والخامس للحديث عن الموضوعية من المنظور الاسلامى مدعما ذلك بالادلة من الكتاب والسنة ، وسوف يبين الباحث بان الموضوعية مفهوم لايكتمل ولايتم الا فى ظل العقيدة والقيم الاسلامية وفى حدود التزام الباحث بهذه العقيدة وتلك القيم .

المبحث الأول : اشكالات متعلقة بالباحث :

ويقصد بالاشكالات المتعلقة بالباحث ، أى مدى تأثير الباحث بكل مكوناته الأيديولوجية والقيمية والذاتية على عملية وموضوعية دراسته للظاهرة التربوية والاجتماعية سلبا وايجابا .

والملاحظ أن مكونات الباحث التى يمكن أن تؤثر فى مجرى دراسته التربوية والاجتماعية تشمل ثلاثة جوانب وهى :

* الأيديولوجيا .
* القيم .
* الذاتية .

أولا : الأيديولوجيا* :

وقد استحدث هذا التعبير " الأيديولوجيا " دى تراسى فى عام ١٧٩٧م ، واستخدمه بمعنى علم الأفكار . وزعم دى تراسى وزملاؤه أن هذا العلم سيكون ردا على الماضى غير العلمى ، وسيكون قاعدة جديدة لنظام اجتماعى وسياسى قائم على العلم .(١)

ولكن مانهايم اعتبر " أن الأيديولوجيا هى مجمل الأفكار والآراء والنظريات والقيم التى تعبر عن جماعة معينة فى إطار تاريخى وهى بذلك مايسمى النظرة الكونية الشاملة " .(٢)

---

(١) مجموعة من المؤلفين : اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، ص ١٣١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

* وهى المبادىء والمفاهيم التى يضعها الانسان بتنظيم حياته وهى مفهوم غربى ، وتنظيم شئون الحياة فى المجتمع المسلم ينبع من العقيدة الاسلامية .

والأيديولوجيا في نظر مانهايم توجه النشاط الانساني نحو الحفاظ على النظام القائم (١) .

وعلى هذا ، فالأيديولوجيا هي منظومة الأفكار التي تحدد رؤية الانسان للكون والحياة والانسان في وقت من الأوقات ، وفي مجتمع معين .

والسؤال هنا ، هل يمكن للانسان أن يتخلى عن أيديولوجيته ؟ واذا لم يستطع التخلص منها ، هل يؤثر ذلك على علمية وموضوعية دراسة الانسان للظاهرة التربوية والظاهرة الانسانية عموما ؟ .

الملاحظ أن الأيديولوجيا تمثل ركنا أساسيا في تكوين شخصية الانسان فهي كما يرى دوركايم تنتج من عمليات عقلية* هي من صميم خواص العقل البشري ، وبذلك تكون الأيديولوجيا سابقة على علم الاجتماع وتدخل ضمن اطار نظرية المعرفة في مجال العلاقة بين الذات والموضوع (٢) .

---

(١) صلاح قنصوة : الموضوعية في العلوم الانسانية ، ص ٣٧٠ .

* وتحتل العناصر الاساسية لعلم الايديولوجيات البشرية مرتبة هامة في علم [illegible]

(٢) مجموعة من المؤلفين : اشكالية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي ، ص ١٣٢ .

والأيديولوجيات عموما لها أهمية قصوى فى حياة الانسان ، فهى تمثل " الحافز الرئيسى الفعال فى اختيار مشكلات البحث وانتقاء وقائعه وايثار مفهوماته " (١) .

والأيديولوجيا بذلك تتجاوز حدود الشخص لتنعكس على تعامله مع الظواهر الانسانية المحيطة به ، وتحدد له الأولويات فى أهمية القضايا الاجتماعية ، وكيفية تحليلها والخروج بتفسير معين لها .

ولذلك فانه من المتوقع أن تختلف أهمية الظواهر التربوية وأساليب تفسيرها فى المجتمعات البشرية المختلفة ، وذلك تبعا لاختلاف تلك المجتمعات فى الأيديولوجيات التى تحكمها والتى تمثل الاطار المرجعى الرئيسى الذى يرجع اليه الانسان فى تفسيره لظاهرة اجتماعية معينة أو الحكم عليها .

" فاذا قال ماركس : انه من الممكن تطوير مجتمع معين بالتأثير فى ظروفه الاقتصادية ، كانت هذه العبارة كاملة فى عقله صادقة فى تجربته اليومية " (٢) .

---

(١) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ، ص ٤١٧ .
(٢) مالك بن نبى : ميلاد مجتمع ، ص ٣١ .

وذلك لأن الماركسى يؤمن بأن الظروف الاقتصادية هى البنية التحتية التى يبنى عليها كل مظاهر المجتمع الأخرى من عادات وقيم ومعتقدات ، فهو اذا ينطلق من أيديولوجيته الخاصة .

أما بالنسبة لنا مثلا - باعتبارنا مسلمين - فان العبارة السابقة تعتبر " عبارة جوفاء لاتثبت تجربتنا الشخصية أو الاجتماعية منها شيئا "(١) .

ولايشك فى أهمية الأيديولوجيات وأثرها فى حياة الانسان فهى التى توجهه التوجيه الشامل ، وتضع له الأهداف ، وتحدد له التبعات ، وكذلك هى التى تمده بالبواعث والحوافز من أجل تحقيق أهدافه والقيام بتبعاته ، بل وتبين له المراتب القيمية لأفعاله(٢) .

واذا كانت الأيديولوجيا بهذه الأهمية فى حياة الانسان فان الانسان لذلك لايستطيع أن يتخلى عنها فى دراسته للظواهر التربوية والاجتماعية ، وكذلك يستبعد أن يوجد باحث يدرس موضوعا تربويا أو اجتماعيا دون أن يكون متأثرا بأيديولوجيا معينة

---

(١) مالك بن نبى : ميلاد مجتمع ، ص ٣١ .
(٢) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ، ص ٣٨٣ .

تحدد له المعايير التى يختار موضوع الدراسة على ضوئها ، وكذلك القواعد التى يمكن بها أن يفسر تلك الظاهرة موضوع الدراسة .

ولكن هل يعنى ذلك أن العلوم التربوية والاجتماعية متعددة بتعدد الأيديولوجيات ؟ وهل يعنى هذا التعدد عدم موضوعية العلوم التربوية ؟ والذى يظهر بوضوح أن كل أيديولوجيا فى مجتمع معين لها أطرها الخاصة فى توظيف العلوم التربوية ، وتحديد أولوياتها فى الأهمية ، وقواعد تفسيرها .

ولكن هذا لايعنى اختلاف العلوم التربوية فى كل جزئياتها من مجتمع لآخر ، بل هناك أجزاء كثيرة وقضايا متعددة فى العلوم التربوية تشترك فيها المجتمعات البشرية .

فهى من قبيل المعلومات العامة التى يتفق عليها سائر المجتمعات .

ولذلك يمكن للمجتمعات المختلفة أن تستفيد منها باعتبار انها متعلقة بقضايا الانسان عامة .

ولكن ينبغى على المجتمعات الاسلامية ، وهى تأخذ عن غيرها فى العلوم التربوية أن تفصل بين العناصر الأيديولوجية والعناصر العلمية بحيث تأخذ العناصر العلمية دون أن تعلق بها العناصر الأيديولوجية (١) .

---

(١) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ، ص ٣٥٨ .

وذلك لأنه لايمكن ان نجعل صحة القضايا العلمية فى العلوم التربوية والانسانية متوقفةعلى سلامة الايدولوجيات التى تتبطنها .

فالمعايير التى تضبط ميل الانسان نحو ايدولوجيا معينة والالتزام بها ليست هى نفس معايير التحقق من صحة القضايا العلمية (١) .

وبهذا يتضح ان المفاهيم التربوية ملتزمة بطبعها بعقيدة ومبادى المجتمع الذى تعيش فيه .

وهذا يجعل مسألة الفصل بين المفهوم التربوى وسياقه الايدولوجى عملية صعبة الا انها ضرورية جدا اذا اردنا ان نستفيد من بعض الجوانب التربوية الايجابية عند المجتمعات الاخرى شريطة الا تنطوى تلك الافكار على مايخالف العقيدة الاسلامية أو يعادلها .

---

(١) صلاح قنسوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ، ص ٣٨٣ .

وأما أن نفصل القضايا العلمية عن الأيديولوجية التي تتبطنها ونضعها في سياق يتناسب مع عقيدتنا ، فنكون قد حققنا الفائدة العلمية دون أن نتأثر بالسياق الأيديولوجي الغربي .

ثانيا : القيم الخلقية :

والقيم الخلقية هي "المقاييس والقواعد التي تنظم نشاط المجتمع في سبيل غايته" (١) .

وهي بهذا المعنى تكون جزءا من الأيديولوجيا .

وموضوعية البحث في العلوم التربوية أو الانسانية عامة لها علاقة مباشرة بموضوع القيم .

فهل تستلزم موضوعية البحث في تلك العلوم تخلي الباحث عن قيمه ؟ .

وهل يمكن للباحث أن يتخلى عن قيمه ؟.

وللاجابة على هذا التساؤل لابد من التعرض لعلاقة القيم بكل من الباحث وموضوع البحث ، لنحاول من خلال ذلك التعرف على مدى امكانية الفصل بين القيم والباحث أو عدمها ، وأثر ذلك على علمية وموضوعية الدراسة .

---

(١) مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ص ٤٩ .

وقضية تدخل القيم فى الدراسة لم يكن للعلماء والمفكرين فيها رأى واحد ، فمنهم من يحاولبكل السبل أن يدلل على أن بعض فروع العلوم الانسانية - كعلم الاجتماع - يمكن أن تكون موضوعية شأنها فى ذلك شأن العلوم الطبيعية (١) .

وعلى رأس من ينادون بهذا المبدأ العلماء ذوو النزعة الوضعية .

وهناك علماء ومفكرون آخرون جعلوا العلوم الاجتماعية عموما غير منفكة عن القيم بأية حال ، فهم يرون أن القيم لاصقة بالعلوم الاجتماعية وملازمة لها ، حتى لو أن الباحث زعم أنه يجرى بحثه بدافع حب الاستطلاع ، فهذا فى حد ذاته لايخرج عن كونه شيئا قيميا (٢) .

وبالنظر الى كل من العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية فانه لايخفى على الباحث الفارق الملموس بينهما ، ولعل فارقا أساسيا بينهما يمكن أن يلاحظه المتأمل وهو أن العلوم الانسانية تتميز عن العلوم الطبيعية بما يمكن أن يسمى الاناطة بالقيم "Value Relevance" (٣) .

---

(١) محمد على محمد : علم الاجتماع والمنهج العلمى ، ص ٨٦٦

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٦٧ .

(٣) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ، ص ١٨٩ .

وذلك لأن العلوم الانسانية لا يكتفى فيها الباحث بمجـــــرد الوصف ـ كما هو الحال فى العلوم الطبيعية ـ بل لا بد فى دراستها من تقويمها وتفسيرها وصياغتها بما يتلاءم مع طبيعة المجتمـــــع وغاياته وقيمه .

ومن هنا فان القيم لابد وأن تدخل فى الدراسة مـن البـــاب الأمامى والخلفى .(١)

فالقيم تلعب دورا مهما فى اختيار مشكلة البحث ، وتساؤلات البحث المطروحة والتى تتطلب الاجابة عليها .(٢)

ولا يكاد يوجد باحث يدرس فى مجال الدراسات التربويـــــة والانسانية وهو خال من القيم ، لأنه بدون أفكار الباحث القيمية لن يكون هناك مبدأ لانتقاء وتحديد موضوع الدراسة ، وستكون كـــل محاولة لتحليل الواقع عديمة المعنى اذا ما خلت من اقتناع الباحث بقواعد تحليلية معينة تنطلق من قيم معينة .(٣)

ورغم أن العديد من الباحثين يؤكدون أن علم الاجتمـــــاع ـ باعتباره فرعا من العلوم الانسانية عموما ـ علم خال مـــــن القيم " Free discipline Value " .

---

(١) حامد عمار : المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ،ص (٥٩) .
(٢) محمد على محمد : علم الاجتماع والمنهج العلمى ، ص (٨٦٧) .
(٣) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ،ص (١٩١) .

أى أنه يطبق المنهج العلمى فى دراسة الحياة الاجتماعية فان هذا الادعاء يتناقض مع ما وصل اليه علم اجتماع المعرفة من أن هناك مجموعة كبيرة من العوامل المنظورة وغير المنظورة تتداخل لتشكل فكر الباحث أو المفكر (١) .

ورغم المحاولة والتطلع الى علم يخلو من القيم ، ويكون محايدا ، الا أن الذين نادوا بعزل العلم عن القيم لم يلتزموا بما نادوا به ، " فدوركايم دافع عن النظام الرأسمالى وهاجم النظام الاشتراكى ، و " بارتيو " دافع عن الارستقراطية وتحامل على الديمقراطية والنظم الماركسية ، و " فيبر " استهدف من نظريته السوسيولوجية تقديم نموذج تفسير يقف فى وجه النموذج الماركسى فى تفسير المجتمع والتحول الاجتماعى والسياسى ، فركز على التوجيهات القيمية فى مقابل التركيز الماركسى على العامل الاقتصادى " (٢) .

والمتوقع أن يكون الباحثون فى العلوم التربوية والانسانية ذوى التزامات قيمية مختلفة .

---

(١) نبيل محمد السمالوطى : الايديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر ، ص (١١٤) .

(٢) المرجع السابق ، ص (٩٩ - ١٠٠) .

أما ما يُسمى بالحياد القيمى فهو أمر مستحيل .

ولهذا ذهب بعض المفكرين الى الرأى القائل بأنه من العبث أن تتفق العلوم الانسانية - فى المجتمعات المختلفة - على الوقائع وتفسيراتها (١) .

واذا كانت القيم متلبسة بالعلوم التربوية والانسانية ، فان ذلك يدفعنا للتمحيص والدراسة العميقة للعلوم التربوية المستمدة من قيم تخالف قيمنا .

فلا بد من الفصل بين العناصر القيمية للمعرفة ، والمعرفة العلمية الصرفة والتى تمثل قاسما مشتركا يمكن التثبت من صحته فى أى مجتمع من المجتمعات بالأسلوب العلمى .

والمتوقع أن تكون عملية الفصل هذه صعبة وتحتاج الى دراسة واعية ودقة ملاحظة من الباحث ، اذ أنه من " العسير على الباحث فى كل الأحوال أن يفصل بين ما هو واقعى ، وما هو تقويمى فى تقديره للوقائع .

ومن غير الميسور فى العلوم الانسانية أن نميز فى العديد من المصطلحات المستخدمة فى هذه العلوم، بين ما هو منتسب الى تقرير الواقع وبين ما هو نابع عن أحكام القيمة " (٢) .

---

(١) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ، ص (٥٤) .

(٢) المرجع السابق ،ص (٥٥) .

ثالثا : الذاتيـــــة :

وذاتية الباحث هى عبارة عن كل مكوناته الفكرية والنفسيـــة فهى بذلك تشمل الأيديولوجيا والقيم الخلقية والعواطف والاهواء .

والذاتية تختلف من باحث لآخر ، فقد تجد باحثين يخضعـــان لنفس المفاهيم الأيديولوجية والقيمية ، ولكن كلا منهما لـــه طريقته الخاصة فى التعامل مع الظواهر الانسانية ، وربما فـــى تفسير بعضها أيضا .

وذلك راجع الى اختلاف ذاتية كل منهما عن ذاتية الآخـــر.

والذاتية لها جانبان : جانب فطرى خلقى لا دخل للانسـان به ، وجانب مكتسب يختلف فيه الناس باختلاف مشاربهم وأطرهـــم المرجعية والفكريـة .

وكما وقع الجدل فى علاقة كل من الأيديولوجيا والقيـــم بالموضوعيـة ، فكذلك وقع الجدل فى شأن الذاتيـة فى العلـــوم الانسانية وعلاقة ذلك بالموضوعية .

ظهر علماء ومفكرون يرون أن الموضوعية العلمية فى العلـــوم الاجتماعية تستلزم التخلى عن الذاتية التى تشمل كل ما هو خـــارج عن اطار دراسة الظاهرة الاجتماعية ، وعلى رأس هؤلاء الوضعيون .

ولكن ظهر هناك طائفة من العلماء رفضوا فكرة الموضوعيـــة فى العلوم الاجتماعية ، وقرروا بأن علم الاجتماع ملتزم بطبيعته .

ومن هؤلاء العلماء " روبرت لند " " R. Lynd "
و " س. رايت ملز " " C.R. Mills " و " جنرميردال " " G. Myrdal "(١).

والملاحظ أن الباحث ليس مخيرا فى التأثر بذاتيته فى بحثه للظواهر المحيطة به ، وبالذات الظواهر ذوات الطابع التجريدى كالظواهر التربوية ، وذلك لأن عقل الانسان ذاته ليس مجرد آلة تصوير لما هو موجود فى الواقع ، وانما يمدنا العقل بمعرفة تتألف من عنصرى الانطباعات التجريبية والتصورات العقلية (٢).

اذن فالعقل ليس مرآة عاكسة لما أمامها من الظواهر ، بل يرسم العقل صورة للظاهرة المعينة فى ذهن الباحث ، ويمده بقواعد تحليل تلك الظاهرة والحكم عليها ، وهو بذلك يعطى للظاهرة الاجتماعية مفاهيم اضافية من خلال ترتيبه لمنظومة القيم والمعتقدات التى يستخدمها العقل فى ملاحظة الظواهر .

كذلك فان الباحث فى ميدان العلوم الاجتماعية يمثل جزءا من الشيء أو الظاهرة محل الدراسة (٣).

وهذا التمازج والتداخل بين الباحث وذاته من جهه ، وبين الباحث وموضوع بحثه فى العلوم الاجتماعية من جهة أخرى يؤدى الى استبعاد تخلى الباحث عن ذاتيته ، خاصة ما يتعلق بالجوانب الخفية واللاشعورية من الذات .

---

(١) نبيل محمد السمالوطى: الأيديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر ، ص (١٠٠ - ١٠١) .

(٢) محمد فهمى زيدان : من نظريات العلم المعاصر الى المواقف الفلسفية ، (ص (٨٧) .

(٣) مجموعة المؤلفين : اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، ص (٣٢) .

وكذلك فان الباحث غالبا ما يرى نفسه ملزما بقضايا مجتمعه ومن ثم فانه يدرس العلوم الاجتماعية فى اطار هذه القضايا ، وهذا نوع من الذاتية .

والالتزام بقضايا المجتمع لا يرادف الانحياز أو اللاموضوعية " وانما يعنى تجنب خطر التجريد والتعميم غير المشروع خاصة فيما يتعلق بقضايا الانسان والمجتمع والتاريخ .

كذلك فان الالتزام يعنى محاولة تقديم مادة علمية يمكن أن تسهم فى تخطيط وتنمية المجتمع ومواجهة مشكلاته "(١) .

وعليه ، فلا خوف على الاطلاق من التزام العلوم الاجتماعية والتربوية بقضايا المجتمع طالما أن معالجة تلك القضايا تتم بأسلوب علمى صحيح(٢) .

والملاحظ أن المذاهب المختلفة فى العلوم الانسانية تتناقض مع نفسها عندما تعلن من جهة ضرورة التخلص من الذاتية ، ثم لا تلبث أن تظهر التزامها بقضايا مجتمعها الذى نشأت فيه .

فعلم الاجتماع الوضعى حاول دعم النظام الذى نشأ فى المجتمع الفرنسى عقب الثورة البورجوازية وعلم الاجتماع الوظيفى حاول دعم الاتجاه السائد فى أمريكا .

---

(١) نبيل محمد السمالوطى الايديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر ص (١٠١ - ١٠٢) .

(٢) المرجع السابق ،ص (١٠١) .

وكذلك حاول علم الاجتماع المادى أو الماركسى دعم النظم الماركسية فى الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية (١) .

*

والحاصل أن "الصلة بين الباحث (كذات) وبين موضوع بحثه فى العلوم الانسانية صلة لها وضعها الخاص وتأثيرها الذى لا يمكن اغفاله فى هذه العلوم" (٢) .

وذلك لأن العلوم الانسانية عموما موضوعها الانسان الذى تختلف مشكلاته تبعا لاختلاف الأيديولوجيات والقيم السائدة ، وهذا بعكس العلوم الطبيعية التى موضوعها الكون الذى له قوانين ثابتة ولها نسق ووجه واحد فى جميع المجتمعات البشرية .

---

(١) نبيل محمد السمالوطى : الأيديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر ، ص (١٩٥) .

(٢) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ،ص (٥٣) .

* وهو استعمال خاطىء والصواب لغة باعتباره ذاتا أو بوصفه ذاتا .

المبحث الثانى : اشكالات متعلقة بالموضوع

يرى كثير من المتحمسين للموضوعية فى العلوم الانسانية عامة ، أن موضوع تلك العلوم يمكن أن يضبط ويخضع للمنهج التجريبى ، وبذلك يمكن أن تسمى العلوم الانسانية علوما .

وهم متأثرون فى وجهة النظر هذه بمفهوم الموضوعية القائم على المنهج التجريبى فى العلوم الطبيعية ، والذى أدى الى نتائج قيمة وثمينة عن طريق التجربة فى الظاهرة الطبيعية التى أدت الى اكتشاف القوانين التى تحكم سير تلك الظاهرة ، ومن ثم الى التحكم فى سير العلوم المادية .

وقد حققت العلوم المادية (الطبيعية) فى مجالها نجاحا بالغا ، تمثل فى الفوائد والمنافع التى قدمتها للبشرية فى وقت يعد قصيرا .

ومن هنا أرجع كثير من العاملين فى الحقل الاجتماعى السبب فى تقدم العلوم الطبيعية عن نظيرتها العلوم الانسانية الى طبيعة المنهج الذى يحكم الظاهرة الطبيعية ، ولذلك أرادوا نقله كما هو الى العلوم الانسانية .

أولا : التجريب :

التجريب فى العلوم الانسانية عموما يعترضه اشكالات ترجع الى الاختلاف بين طبيعة كل من العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية .

فالعلوم الانسانية - والتربوية خاصة - موضوعها الانسان والعلوم الطبيعية موضوعها الكون المادى .

والاختلاف بين طبيعة كل منهما يؤدى الى اختلاف منهج البحث فيهما .

فاذا قام الباحث مثلا فى ميدان التربية بنقل الظاهرات التى يدرسها من وضعها الطبيعى فى المجتمع الى المعمل ، حيث تتوفر شروط الضبط المثالية ، فسوف تواجهه مشكلة ، وهى أن السلوك الطبيعى للانسان فى المجتمع لا يمكن ايجاده داخل المعمل (١) ، ومن ثم تختلف الاستجابة فى كلتا الحالتين .

فالطريقة التجريبية نفسها فى العلوم التربوية تعد تدخلا يمكن أن يغير كثيرا من عناصر الظاهرة الاجتماعية (٢) .

والانسان باعتباره موضوعا للعلوم التربوية والاجتماعية عموما يتميز بالارادة الحرة الواعية ، وبالقدرة على أن يختار من بين الأفكار والأفعال المختلفة (٣) . وهذا يفقد التجربة فى العلوم التربوية كثيرا من أهميتها .

---

(١) ديوبولد ب فان دالين : مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ص (٤٣٤ - ٤٣٥) .

(٢) حامد عمار : المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ،ص (٦٠) .

(٣) رينيه دوبو : انسانية الانسان ، ص (١٦٤) .

أما فى العلوم الطبيعية ، فالأمر يختلف اذ أن موضوعاتها ثابتة ومحايدة وليس لها وعى ولا ارادة ،(١) ولذلك نحصل على نفس النتيجة اذا أجرينا تجربة على عينة عدة مرات ، بحيث تكون العينة نفسها وخاضعة لنفس الظروف .

كما أن تعقد العوامل والمتغيرات وكثرتها وتداخلها فى العلوم الاجتماعية بالمقارنة بالعلوم الطبيعية ،(٢) تجعل منها موضوعا مختلفا عن موضوع العلوم الطبيعية .

الظاهرة التربوية يدخل فى تركيبها متغيرات كثيرة تتفاعل وتؤثر فى سير الظاهرة ، وتتداخل بحيث يصعب عزلها والتمييز بينها فى كثير من الأحيان .

وهذا يضيف الى الباحثين فى الحقل التربوى جهدا كبيرا فى الحصول على معلومات كاملة ودقيقة ، ليس فقط عن المتغيرات المعزولة ، وانما عن كيفية تفاعلها أيضا .(٣)

---

(١) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ،ص (١٦) .
(٢) مجموعة من المؤلفين : اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ،ص (٨٨) .
(٣) ديو بولد ب فان دالين : مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، ص (٤٣٩) .

فاذا أراد باحث أن يدرس مثلا العوامل السببية فى المجال الاجتماعى كالاسرة والطبقة ، والمكانة الاجتماعية ، والوضع الاقتصادى ، فانه سيجد أن كل عامل من هذه العوامل يقع تحت تاثير عدد كبير من الظروف التى لا يمكن عزلها (١) .

ومن جهة أخرى فان العلوم الطبيعية نقية غير ملتحمة بالاوضاع الاجتماعية ، أما العلوم التربوية فانها ملتحمة بالاوضاع الاجتماعية عن طريق القيم والمبادىء والاهداف .

القيم فى العلوم التربوية جزء أساسى من الوقائع لا يمكن للباحث أن يغفلها فى دراسته (٢) ، كما أن الانسان - وهو موضوع الدراسة فى العلوم التربوية - له عاطفة وشعور ذاتى يجب مراعاته على عكس الظواهر الطبيعية التى لا يشعر الباحث بضرورة مراعاة عاطفتها أو شعورها الذاتى (٣) .

ومن الملاحظ أن الباحث وموضوع البحث فى مجال العلوم التربوية ، يكادان يكونان نمطا واحدا (٤) ، واذ أن كلا من الباحث وموضوع بحثه انسان .

---

(١) محمد على محمد : علم الاجتماع والمنهج العلمى ،ص (٣٧٩ .

(٢) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ، ص (٤٨) .

(٣) ديوبولد ب فان دالين : مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ص (٧٧ - ٧٨) .

(٤) ألكسيس كاريل : الانسان ذلك المجهول ،ص (٦٦) .

ومن هنا تتدخل قيم الانسان سواء كان باحثا أم موضوع بحث فى سير الظاهرة التربوية ، ولا يمكن بذلك عزلها عن موضوع الدراسة .

ولما كان التحكم جزء من التجريب ، " ذلك أن التجريب فى أساسه عملية تحكم "(١) ، فان ذلك يفقد السلوك الاجتماعى عنصر التلقائية ، مما يجعله عديم المعنى .(٢)

والتحكم فى السلوك الاجتماعى يعتبر فى كثير من الأحيان خطيرا وغير انسانى .

فمثلا لو أراد باحث أن يدرس أثر التفكك الأسرى أو الادمان على سلوك الطفل ، فلا يمكن له أن يقوم بتفكيك أسرة سليمة سوية أو باعطاء طفل جرعة من المخدرات حتى يصبح مدمنا ، وذلك لأن هذا التصرف يعتبر اهدارا لكرامة الانسان ولا يتناسب مع طبيعتة بأية حال .(٣)

ومما تقدم من حديث عن التجريب فى العلوم التربوية ، يتبين بوضوح أن التجريب بمفهومه فى العلوم الطبيعية ليس هو الاسلوب الوحيد فى دراسة العلوم التربوية .

---

(١) محمد زيان عمر : البحث العلمى مناهجه وتقنياته ، ص (٩٧) .
(٢) محمد على محمد : علم الاجتماع والمنهج العلمى ،ص (٣٧٩) .
(٣) محمد زيان عمر : البحث العلمى ومناهجه وتقنياته ،ص (٩٨).

وهذا يرجع الى اختلاف طبيعة العلوم التربوية عن العلوم الطبيعية .

وهذا الاختلاف يدفع الباحثين أن يدخلوا تعديلات مناسبة لايجاد طريقة تجريبية خاصة ، لها طبيعة تتناسب مع موضوع العلوم التربوية .

ولا يشترط فى هذه الطريقة أن تأتى بنتائج حتمية خالية من كل شيء سوى العلم . فهذا الشرط لم يتحقق تماما حتى فى العلوم الطبيعية ، اذ أن كثيرا من مسلماتها لا يمكن مشاهدتها أو التحقق منها ، " فهناك الجسيمات كالالكترون الذى يقال انه يقفز من مدار الى آخر فى لا مكان in no space ، كما أن هناك " القصور الذاتى " الذى لا يمكن أن نحده متحققا فى الواقع رغم ضرورته فى فهم الحركة الواقعية "(١) .

وكذلك فان أكثر العلوم الانسانية تقدما مثل الاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع مبنية على افتراضات قيمية وغائية مثل القول بالمنفعة والتكامل والمصلحة والاتزان والتكيف والانحراف وغيرها(٢) .

ويمكن فى هذا المنهج المقترح أن تستخدم التجربة بمعناها الواسع فى مجال العلوم التربوية والاجتماعية بحيث تدرس الظواهر الانسانية وهى فى سياقها الطبيعى ، دون التدخل فى سيرها .

---

(١) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ،ص (٤١٢) .
(٢) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ،ص (٤٩) .

وذلك عن طريق الدراسة المقارنة والأساليب الاحصائية ، وهذا يمكن أن يكون بديلا مقبولا عن التجارب العملية فى العلوم الطبيعية وأثبتت هذه التجارب نجاحا كبيرا فى علم الاقتصاد وعلم التربية وعلم النفس الاجتماعى (١) .

والتاريخ حافل بكثير من الحالات التى يمكن أن يتخذها الباحث مادة لدراسته مثل الثورات الاجتماعية والأزمات الاقتصادية والاضطرابات الداخلية ، وكثير من القضايا التى يمكن للباحث أن يجعلها مادة لبحثه .

ويستطيع الباحث كذلك ان يقارن بين المجتمعات المختلفة فى نفس العصر كما هو الواقع الآن (٢) .

وهذا يعطى الباحث ضمانة لعدم تحويل مجرى الظاهرة محل الدراسة عن طريق فرض واقع تجريبى عليها .

ثانيا : التعبير الكمى ووضع القوانين :

خطا الباحثون خطى واسعة فى التعبير عن الظواهر الطبيعية تعبيرا كميا ، وكذلك فى وضع القوانين التى تحكم سير هذه الظواهر .

---

(١) نبيل محمد السمالوطى : الأيديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر ، ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

وحتى يمكن التوصل الى التعبير الدقيق عن تلك القوانين فلابد من خضوع تلك الظواهر لنوع من الحتمية التى تمكن الباحث من توقع حدوث الظاهرة عند توفر أسبابها وشرائطها .

والظواهر الطبيعية تخضع الى حد بعيد للحتمية التى يمكن على ضوئها التوصل الى قوانين ثابتة تحكم سير تلك الظواهر .

" فالوصف والتفسير والتنبؤ ، وكذلك التحكم تمضى كلها على خط متصل فى العلوم الطبيعية .

فما وصفناه وفسرناه انما يعنى التنبؤ بحدوثه على النحو الذى وصفناه وفسرناه به " (١) .

أما فى العلوم التربوية فالوصف يختلف عن التفسير اذ ان الوصف لايظهر الا الجانب الخارجى من الظاهرة الاجتماعية ، وأما التفسير فيتناول عناصر أخرى من الظاهرة الاجتماعية التى تتدخل فى تكوينها وتوجيهها عناصر كثيرة متشابكة (٢) مثل القيم والأيديولوجيا وقوة الماضى الذاتى .

ولذلك نجد معظم الخلافات بين المدارس الاجتماعية المختلفة لاتكمن فى دائرة الوصف ، بل تكمن فى جانب تفسير تلك الظواهر .

---

(١) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ، ص ٤١٣ .
(٢) مجموعة من المؤلفين : اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، ص ١٩ .

كذلك فان التفسير فى الظاهرة التربوية لايعنى التنبؤ بحدوث الظواهر التربوية ، كما يحدث فى الظواهر الطبيعية التى تسير على اطراد واحد .

" فاذا قبل الناس تفسيرا لظاهرة اجتماعية ، قد يقررون تعديل الأنماط الاجتماعية السائدة فى ضوء هذه المعرفة .

وبالتالى يخلقون أوضاعا جديدة تجعل التعميمات السابقة باطلة وغير ذات موضوع .

وبالتالى فان التعميم الدقيق فى الاقتصاد والتربية أكثر صعوبة منه فى الفلك أو الفيزياء " (١) .

وهذا يجعل التنبؤ عملية ثانية تختلف عن عملية التفسير فى العلوم التربوية .

والانسان فى كثير من الأحيان يكيف سلوكه ويغيره وفقا لتكهناته عن المستقبل ، وهى صفة يتميز بها الانسان عن غيره من الكائنات (٢) .

---

(١) ديوبولد ب فان دالين : مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، ص (٧٧ - ٧٨) .

(٢) رينيه دوبو : انسانية الانسان ، ص ١٣٩ .

وهذا يجعل التنبؤ فى الظواهر التربوية فى حياة الانسان عسيرا للغاية .

وتلك الخصائص التى تميز العلوم التربوية تعود الى وعى الانسان الذى يصدر عن روية وتدبر ، وبالتالى تكون أفعال الانسان عرضة للتغيير والتبديل بناء على فهمه وتبصره (١) .

وفهم الانسان وتبصره كثيرا مايتدخل فى سير الظاهرة فيغيرها حتى لو تم التنبؤ بتلك الظاهرة بأسلوب علمى صحيح .

ويتبين لنا هذا بوضوح فيما لو قامت مجموعة من الباحثين بدراسة نظام تربوى معين ، بمنهج علمى سليم ، وقرر هؤلاء الباحثون بأن هذا النظام التربوى سيؤدى الى نتائج سلبية بعد مدة من الزمن .

فتدخل القائمون على هذا النظام التربوى بوعيهم وحاولوا التخلص من سلبيات هذا النظام ، ودعم الجانب الايجابى فيه فظهرت النتيجة على عكس ماتوقع الباحثون ، وآتى هذا النظام ثمارا طيبة .

---

(١) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ، ص ٤٨ .

ويمكن أن يحدث عكس ذلك تماما فيحقق الانسان تنبؤا غير مبنى على دراسة علمية سليمة ، كما لو توقع مجموعة من الباحثين افلاس احد البنوك بعد خمس سنوات ، بناء على دراسات غير صحيحة فلما سمع الناس بذلك التوقع ، قام كثير منهم بسحب أرصدتهم من ذلك البنك ، فتحقق تنبؤ الباحثين ، لا بسبب دقته العلمية بل بسبب تدخل الانسان فى سير الظاهرة عن طريق وعيه وتبصره .

اذا قد يتدخل الانسان فى سير ظاهرة ما ، فيكعس تنبؤا قائما على أسس علمية صحيحة ، ويسمى هذا النوع التنبؤ القاتل لنفسه (Suicidal) ، وقد يغير الانسان سير ظاهرة ما ، فيحقق تنبؤا غير قائم على أسس علمية ، ويسمى هذا النوع التنبؤ المحقق لنفسه (Self - Fulfilling)[1] .

أما فى الظاهرة الطبيعية فيكون التنبؤ ذا وجه واحد يمكن تحديده بدقة .

وبذلك تختلف طبيعة الظواهر الطبيعية عن الظواهر الاجتماعية التى تتدخل حرية الارادة البشرية فى سيرها وتغير مجراها ، وهذا يجعل أمر اخضاعها لقانون علمى ثابت متعذرا[2] .

---

(١) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ، ص ٤٧ .
(٢) مجموعة من المؤلفين : اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، ص ١٨ .

كذلك فان الظواهر الطبيعية تتميز بالتكرار والاضطراد . أما الظاهرة الاجتماعية فلها طابعها المتميز المنفرد وغير المتكرر .(١)

وذلك لأن الظاهرة الاجتماعية مرهونة الى حد كبير بظروفها وأحوالها الخاصة ، وتكثر الحالات الاستثنائية فيها .(٢)

هذا بالاضافة الى أن الظاهرة الانسانية تتدخل فيها من حيث التفسير ، عوامل كثيرة متداخلة ، يرجع بعضها الى حرية الفرد وخبرته الثقافية ، ويرجع بعضها الآخر الى البيئة المؤثرة .(٣)

وهذا يفقد العلوم التربوية عنصر الحتمية ، الذى لابد من وجوده من أجل التوصل الى قوانين تحكم سير الظاهرة التربوية .

وعلى ذلك ، فلابد من التعامل مع الظواهر التربوية بطريقة متكاملة ، اذ أن موضوع هذه الظواهر وهو الانسان ، يجب أن يدرس من جميع جوانبه الفكرية والبيئية والتاريخية لكى تقوم دراسات ذات معنى فى حقل العلوم التربوية .

---

(١) ديوبولد ب فان دالين : مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، ص ٧٧ .

(٢) مجموعة من المؤلفين : اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، ص ١٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩ .

ويمكن فى هذا الصدد أن تدرس مواقف الانسان متكاملة ، دون اجتزاء بعضها بحجة عزل العوامل الاخرى .

فالانسان يتعامل مع المواقف بكليته ، فلا يستطيع الباحث أن يعزل جانب الانسان العقلى عن الوجدانى .

وهذا اختلاف جوهرى بين الانسان وبين المادة يجب أن يراعيه الباحث وهو فى طريقه الى دراسة العلوم التربوية .

ثالثا : العالمية :

تتميز العلوم الطبيعية بالعالمية ، بمعنى أن المجتمعات البشرية تستفيد منها بنفس الدرجة .

وليس هناك فى العلوم الطبيعية قوانين يمكن ان نسميها أمريكية أو روسية أو بريطانية ، تخص تلك المجتمعات وحدها ويتعذر على غيرها من المجتمعات أن تنتفع بها .

بل ان قوانين العلوم الطبيعية واحدة فى كل المجتمعات البشرية ، وتعطى نفس النتيجة فى كل مكان .

وذلك لأن هذه العلوم تتميز بالثبات والسير على نسق واحد وتتسم بالحياد والانفصال - الى حد بعيد - عن قيم المجتمعات وأيديولوجياته .

والذين يطالبون بنقل منهج العلوم الطبيعية الى العلوم الانسانية ، يرون أن الأخيرة يمكن أن تكون عالمية ، ومن ثم يمكن تصديرها الى غير موطنها الأصلى ، كما تصدر الصناعات والفواكه .

والمتأمل فى العلوم الاجتماعية يجد أنها تختلف فى هذا المجال عن العلوم الطبيعية .

فالقوانين فى العلوم الاجتماعية تختلف من مجتمع الى مجتمع ، ولاتزال وجهات النظر فيها قائمة على المدارس التى تبشر بها .

وقد تعددت المدارس الاجتماعية منذ مطلع القرن العشرين فظهر منها مدرسة اجتماعية بيولوجية يتزعمها هربرت سبنسر + ١٩٠٣ ، ومدرسة مادية تاريخية يمثلها ماركس +١٨٨٣ ومدرسة جغرافية ، وأخرى نفسية ، وغيرها أنثروبولوجية اجتماعية (١)

ولاتستطع أية مدرسة من تلك المدارس أن تزعم أن قوانينها الاجتماعية عالمية ، ويمكن أن تصلح لسائر المجتمعات بنفس الدرجة .

بل لاتزال تلك المدارس تحمل " جنسيات اصحابها فيقال مدرسة أمريكية أو انجليزية أوألمانية أو فرنسية أو غيرذلك " (٢) .

---

(١) مجموعة من المؤلفين : اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، ص ٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

مكشلات الانسان تختلف عن مشكلات المادة . فمشكلات المادة ثابتة ، ولا تتغير - الى حد بعيد - من مجتمع لآخر .

اما مشكلات الانسان فتختلف من مجتمع لآخر حسب المبادىء التى تحكم ذلك المجتمع ، والقيم التى يستقى منها توجيهاته .

ولذلك فانه لايصلح أن يستمد مجتمع ما حلولا لمشكلاته التربوية والاجتماعية من مجتمع يغايره فى المبادىء والقيم لأن مشكلات الانسان لايمكن أن يؤتى لها دائما بحلول لها طابع مغاير ، لأن هذه الحلول لن تؤثر نفس تأثيرها فى وطنها .

ويلاحظ هذا فى البلاد الاسلامية التى تستقى الحلول من بلاد متحضرة ، فلا تحدث هذه الحلول فى البلاد الاسلامية نفس التأثير الذى تحدثه فى بلادها ، وكأنها تفقد فاعليتها فى الطريق بمجرد انفصالها عن اطارها الاجتماعى .(١)

وحتى لو ثبت لنا صحة بعض الحلول ذات الصبغة الاجتماعية فى بلاد معينة ، فلا يعنى ذلك أن تلك الحلول تصلح لمجتمعنا الاسلامى ، لأن تلك تعتبر " صحيحة فى هذه البلاد على وجه التأكيد ، ولكنها تقتضى عند التطبيق عناصر مكملة لاتأتى معها ولا يمكن أن تأتى معها ، من حيث كانت لايمكن حصرها ، ولايمكن فصلها عن المحيط الاجتماعى فى بلادها ، أى لايمكن فصلها عن روحها "(٢) .

---

(١) مالك بن نبى : ميلاد مجتمع ، ص ٩٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٦

الخصوصة اذا سمة من سمات العلوم الاجتماعية ، والواقع أن مايسمى الآن " العلوم الاجتماعية " يستند على دراسة أهل الغرب لمجتمعاتهم ، ومعرفتهم بها ، أى أن الدراسة تركزت على فترة بسيطة من التاريخ ، وعلى مساحة ضيقة من الأرض ، فكانت هذه العلوم اجابات على الأسئلة المطروحة فى هذا النطاق المحدود (١) .

فمثلا حينما أراد ماركس وفيبر من بعده أن يستمدا نظرياتهما الاجتماعية من التاريخ ، فانهما لم يستطيعا التخلص من تلك النظرة التى تحصر التاريخ فى أوروبا .

وبالتالى فان نظرياتهما الاجتماعية ذات صبغة أوروبية فكانت اجابات على أسئلة المجتمع الأوروبى النابعة من أيديولوجيته السائدة (٢).

وبهذا يتضح خطأ النظرة الأمبريقية التى تقرر " بأن المعرفة التى يتوصلون اليها عالمية وموضوعية وغير متأثرة بدوافع الباحث أو بقيمه أو أيديولوجيته " (٣) .

---

(١) مجموعة من المؤلفين : اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، ص (٢٥١ - ٢٥٢) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

(٣) محمد عيسى فهيم : اعداد اعضاء هيئة التدريس فى الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم فى الغرب ، ص ١٩ .

وهذا مادفعهم الى التأكيد على عالمية هذه المعرفة وصلاحية نشرها ونقلها الى كل أنحاء العالم ، وخاصة الدول النامية التى ستحتاج هذه المعرفة فى عملية البناء والرقى الحضارى (١) .

والظاهرة الاجتماعية تتميز بالطابع التاريخى والثقافى فهى لذلك تتغير من مكان لآخر ، ومن زمان لآخر (٢) .

فالتعميمات فى العلوم الانسانية ليس لها سوى مدى شديد الضيق ، تحدده الظواهر الاجتماعية المحصورة فى حقبة تاريخية قصيرة ، وفى نطاق أوضاع خاصة ، وهى بهذا تختلف عن العلوم الطبيعية (٣) .

ولايعنى هذا ان الغرب لم يتوصل الى شىء نافع فى مجال العلوم التربوية والاجتماعية ، ولكننا :

نقرر بأن عالمية العلوم الاجتماعية أسوة بالعلوم الطبيعية تعتبر دعوى غير مشروعة ولا مقبولة (٤) .

---

(١) محمد عيسى فهيم : اعداد اعضاء هيئة التدريس فى الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم فى الغرب ، ص ١٩ .

(٢) نبيل محمد السمالوطى : الآيديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر ، ص ٧٨ .

(٣) صلاح قنصوة : الموضوعية فى العلوم الانسانية ، ص ٥٠ .

(٤) مجموعة من المؤلفين : اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، ص ٢٥٢ .

وذلك لاننا :

نواجه تساؤلات ومشاكل نابعة من واقع يختلف عن واقع الغرب ، وهذا يدفع المجتمعات الاسلامية ان تنشىء مدارس تختلف عن المدارس الغربية (١) .

وبعد الانتهاء من الحديث عن اشكالات الموضوعية فى العلوم التربوية والاجتماعية ، والتى تناولت الاشكالات المتعلقة بالباحث والاشكالات المتعلقة بموضوع البحث يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

(١) " الانسان كلّ لايتجزأ وفى غاية التعقيد ، ومن غير الميسور الحصول على عرض بسيط له ، وليست هناك طريقة لفهمه فى مجموعه ، أو فى أجزائه فى وقت واحد " (٢) .

ولايعنى هذا أنه لم توجد طرق لدراسة الانسان ، بل وجدت طرق كثيرة تمثلت فى مدارس متعددة* ، ولكن كل طريقة من هذه الطرق قد تؤدى الى اكتشاف جانب بسيط من جوانب الانسان .

---

(١) مجموعة من المؤلفين : اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، ص (٢٥٧ - ٢٥٨) .

(٢) ألكيس كاريل : الانسان ذلك المجهول ، ص ١٦ .

*

فلو قام مجموعة من العلماء بدراسة الانسان بالطريقة الفيزيائية - الكيميائية ، فإنهم سيقفون على جانب بسيط من الانسان ، وهو الجانب الفيزيائى الكيميائى من حياته .

لكن هذه الطريقة ستهمل خصائص الانسان المهمة التى على رأسها انفعال الانسان بالقوى الخارجية ، وتجاوبه معها بفاعلية غير متوقعة "(١) .

وكذلك الحال بالنسبة لأى طريقة تحاول فهم السلوك الانسانى ، فانها ستقف على جانب ضيق من شخصية الانسان .

ولذلك يبقى العلم قاصرا عن وضع منهج للتعامل مع الانسان من جميع جوانبه(٢) ، لاسيما وأن أدوات المعرفة عند الانسان لازالت قاصرة عن معرفة الكثير من الظواهر المادية الجامدة التى لم تسلم معطياتها من الهزات(٣) .

(٢) الباحث فى مجال العلوم التربوية ، يستحيل أن يتخلى عن أيديولوجيته وقيمه وذاته .

---

(١) رينيه دوبو : انسانية الانسان ، ص ١٦٨ .
(٢) عماد الدين خليل : تهافت العلمانية ، ص ٢٨ .
(٣) عماد الدين خليل : العلم فى مواجهة المادية ، ص ٢٤ .

ذلك لأنه يرجع اليها فى تفسير الظاهرة التربوية وفى توقعاته المستقبلية لتلك الظاهرة .

- بل تتدخل ذات الباحث أحيانا فى وصف الظاهرة .

ومن غير المعقول أن يقف البحث فى الظواهر التربوية عند حد الوصف ، والا لما كان له قيمة .

فاذا حاول الانسان الخروج من دائرة الوصف - فضلا عن التنبؤ - فلابد أن يقع تحت تأثير اطاره المرجعى الممثل فى أيديولوجيته وقيمه وذاته .

ولايقتصر تدخل الباحث فى موضوع البحث على العلوم التربوية ، بل يتعداه الى كثير من الظواهر الطبيعية " فنحن نعرف - مثلا - أن الفلزات تتمدد بالحرارة واذا أخذنا هذه المعرفة بشىء من التحليل نتبين أن موادها الخام ، وهى ظاهرة التمدد فى الفلزات وظاهرة الحرارة ، جاءت عن طريق التجربة ، ولولاها لما استطعنا أن ندرك هذه الظواهر .

واما الناحية الصورية فى المعرفة أى سببية احدى الظاهرتين للأخرى فليست تجريبية ، بل مردها الى مقولة العلّية التى هى من مقولات العقل الفطرية "(١) .

---

(١) محمد باقر الصدر : فلسفتنا ، ص (١٣٦ - ١٣٧) .

(٣) " من أهم خصائص الانسان المميزة توجهه الواعى نحو المستقبل والذى يعنى ضمنا رغبته وارادته فى بذل الجهود اللازمة لقولبة شخصيته وبالتالى مصيره "[١] .

وهذا يجعل من المستحيل امكان خضوع الانسان للمنهج التجريبى ، كما هو الحال فى العلوم الطبيعية .

فوعى الانسان يفقد التجربة قيمتها - فى كثير من الأحيان - عن طريق الحيل الدفاعية التى يلجأ لها اثناء التجربة ، مثل الكذب والتقمص أو محاولة استبطان مايريده الباحث ... الخ .

(٤) بالرغم من أنه أمكن التوصل الى كثير من القوانين والنظريات العلمية فى الميدان الاجتماعى[٢] ، وكذلك التربوى ، الا أن تلك القوانين والنظريات تبقى محكومة بسياق اجتماعى معين ، وبروح خاصة .

ولذلك تبقى هذه القوانين والنظريات لها خصوصيتها الزمانية والمكانية .

---

(١) رينيه دوبو : انسانية الانسان ، ص ١٦٩ .

(٢) عبدالباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعى ، ص ١١٠ .

فقد تكون صالحة في مجتمع ولا تكون صالحة في آخر .

وهذا يسقط ادعاء كثير من واضعي تلك النظريات والقوانين ، بأنها موضوعية ، وبالتالي فهي عالمية كالقوانين الطبيعية .

الفصل الرابـــــــع

الموضوعية من وجهة النظر الاسلامية

* المبحث الأول : الحاجة الى رؤية ملائمة فى العلوم التربوية
  * أولا : الغرب والميتافيزيقا
  * ثانيا: دور الفكرة الدينية
  * ثالثا: ضرورة الرؤية الاسلامية
* المبحث الثانى : خصائص الرؤية الاسلامية
  * أولا : الربانية
  * ثانيا: الثبات
  * ثالثا: الشمول والتكامل والتوازن
* المبحث الثالث : مقومات الموضوعية من منظور اسلامى
  * أولا : الالتزام بالعقيدة والقيم الاسلامية
  * ثانيا: الحجة للنص
  * ثالثا: التزام قواعد البحث العلمى
    * (١) اعتماد الدليل والبرهان
    * (٢) العدل والنزاهة والانصاف
    * (٣) قبول الحق ولو من المخالف
    * (٤) رفض النزعة الذاتية (العواطف والأهواء)

المبحث الأول : الحاجة الى رؤية ملائمة فى العلوم التربوية :

لاشك بأن المبادىء والأيديولوجيات التى تحكم المجتمعات المختلفة ، لها الدور الرئيسى فى تحديد مفهوم العلوم التربوية من حيث أهدافها ووسائلها .

وهذا يؤثر بدوره على مفهوم الموضوعية باعتبارها طريقة للبحث فى تلك العلوم التربوية .

وذلك يدعو الى الحديث عن الرؤية الاسلامية فى العلوم التربوية بصفتها ضرورة ملازمة للمجتمع الاسلامى .

ومما هو مؤكد أن الرؤية الاسلامية تضم بعض القضايا الغيبية (الميتافيزيقية) .

وهذا قد يدفع بعض المشككين الى الاعتقاد بأن تلك القضايا الغيبية تؤثر على علمية وموضوعية الرؤية الاسلامية فى العلوم التربوية .

ولازالة هذه الشبهة سوف يتناول هذا المبحث ثلاث نقاط هى :

* الغرب والميتافيزيقا .
* دور الفكرة الدينية .
* ضرورة الرؤية الاسلامية .

أولا : الغرب والميتافيزيقا :

كثر الجدل حول موضوع العلم والميتافيزيقا ، وعلاقة كل منهما بالآخر .

ورأى كثير من المفكرين الماديين أن الميتافيزيقا هى الجانب المقابل للعلم ، بمعنى أن الميتافيزيقا هى نقيض العلم .

وسادت هذه الفكرة فى الغرب خاصة ابان الثورة الصناعية .

وتقدم العلم فى سنين قليلة نسبيا جعل الكثير من المفكرين يقدسون العلم ، وبالتالى يحتقرون كل تفكير ميتافيزيقى لاينبع من الدراسة المعملية المضبوطة .

وبعد عقود من الزمن تبين بأن العلم وحده لايمكن أن يفى بحاجات الانسان ، وذلك لأن الانسان " كائن ميتافيزيقى ، تتملكه رغبة فى أن يستخرج من شتى مجالات المعرفة العامة والتجربة الخاصة فهما معينا للطبيعة القصوى للأشياء " (١) ، ولذلك لم يجد كثير من المفكرين ضالتهم فى العلم وحده * .

---

(١) جورج . ف . نيلو : مقدمة الى فلسفة التربية ، ص ١١ .

*

ومع حلول الستينيات والسبعينيات من هذا القرن ، ظهر القول بان الاقتصار على حدود العلم الطبيعى أدى الى ظهور الانسان ذى البعد الواحد ، وأنه لابد من منهج متوازن وشامل يولى أهمية للمعرفة الروحية والخبرات الذاتية (١) .

ولهذا توجه النقد الى المنظور الامبريقى العلمانى ، وبدا التشكيك واضحا فى قدرته على حل مشاكل الانسان الاجتماعية والاقتصادية والروحية ، بالرغم من نجاحه فى مجالات التكنولوجيا والدراسات الطبيعية .

وظهرت مذاهب ونظريات أخرى تتحدى وتنافس المذهب الامبريقى فى شرح الظواهر الطبيعية والانسانية ، ومنها المذهب الفينومنولوجى (المذهب الظواهرى) ، والمذهب الاثنوغرافى (المذهب الاصولى) .

وهى مذاهب لها جذورها فى تاريخ الفكر الغربى ، ولكنها حظيت بالاهتمام البالغ خلال الستينات والسبعينات عندما ظهر فشل المنطق الامبريقى والنظريات التابعة له فى تفسير وحل مشكلات الانسان (٢) .

---

(١) ماجد عرسان الكيلانى : فلسفة التربية الاسلامية ، ص ٢٦٥ .

(٢) محمد عيسى فهيم : اعداد هيئة التدريس فى الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم فى الغرب ، ص ٢٠ ، ٢١ .

ولهذا ظهر عند كثير من المفكرين أن الميتافيزيقا والعلم ليسا نقيضين ، وانما هما جانبان من الانسان متكاملان ولكل منهما مجاله الذى يختلف فيه عن الآخر .

ولم يمنع تقدم الحضارة المادية فى القرن العشرين من وجود دراسات روحية واسعة ، يقوم بها جماعة من كبار العلماء* فى مختلف المجالات ، وتقوم تلك الدراسات على منهاج علمى ، واسلوب برهانى يقوم على التحليل والنقد .(١)

اذن فالعلم نفسه اثبت أهمية قضايا الميتافيزيقا ، لأن العلم ذاته يبين للانسان أنه يجهل حقائق كثيرة فى الكون ، اذ أن كل باب جديد من المعرفة يطرقه العلم ، يصاحبه تساؤلات كثيرة تحتاج الى اجابات لايستطيع العلم أن يجيب عليها فضلا عن أن يحيط بها .(٢)

واذا اعتبر الانسان أن الحكم على الأشياء يكون من خلال ادراك ماهيتها والاحساس بها فى المعمل ، فان هذا سيؤدى الى انكار كثير من الظواهر التى تؤثر فى صميم الحياة وتمتد مؤثراتها فى كل ناحية ، كالدين والجمال والأخلاق .

---

(١) محمد عبدالله دراز : الدين ، ص ٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

* مثل الفيلسوف الانجليزى Lodge ، وWilliam James الامريكى Richets العالم الفرنسى المتخصص فى وظائف الأعضاء .

وهذا بدوره يؤدى الى الغاء العلم نفسه ، لأنه قاصر عن معرفة الماهيات ، ومقتصر على مجرد الكشف عن التأثيرات والمؤشرات (١) .

فالعلم كما يقول سوليفان يقتصر على معرفة البنى الرياضية وبالتالى فلا يمكن أن يفترض بأن الطبيعة شىء يستطيع المهندس أن يستحضره فى ورشته (٢) .

وبهذا فان العلم ليس بمقدوره " أن ينفى الدين أو أيا من الخبرات الانسانية الأكبر حجما منه " (٣) .

وكما أن هناك حتمية علمية ، فهناك كذلك حتمية غيبية ميتافيزيقية .

وهذه الحتمية الميتافيزيقية لها أهمية كبيرة فى حياة المسلم .

ذلك لأن الحتمية الدينية تسعفنا عند عجز الحتمية العلمية عن تفسير ظاهرة ما .

---

(١) عماد الدين خليل : العلم فى مواجهة المادية ، ص (٦٢ - ٦٣)

(٢) عماد الدين خليل : مدخل الى موقف القرآن الكريم من العلم ص ٢٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١ .

وهذا ينتج عنه مذهب متكامل ومتجانس لانقص فيه ولاتعارض ، مما لزم المذهب المادى (١) .

ثانيا : دور الفكرة الدينية :

الفكرة الدينية تكاد تكون قاسما مشتركا بين سائر الحضارات وقد أجاد الدكتور زكريا ابراهيم الوصف لهذه الظاهرة فى كتابه : " مشكلة الانسان " ، اذ قال : " واذا كان تصور المجتمعات لله قد اختلف باختلاف الحضارات وتعدد البيئات وتنوع العقليات ، فان " فكرة الله " نفسها تكاد تكون عاملا مشتركا بين شتى أنواع الحضارات ، حتى لقد ذهب بعض الباحثين الى أن الانسان بطبعه " كائن متدين " ، لأنه لايستطيع أن يستغنى عن الايمان بالله أو الكائن العلوى ، أو الموجود الأسمى ، أو الحقيقة المقدسة أو " المتعالى " أو " المطلق " .

حقا ان بعض المفكرين قد جعل من الروح الدينية عرضا من أعراض طفولة الشعوب أو قصور العقل البشرى أو أنحراف الشخصية الفردية ، ولكن الحقيقة أننا لو أزلنا من دنيا الناس كل مايحمل آثار الالهام الدينى ، لقضينا فى الوقت نفسه على أثمن كنوز الحضارة البشرية .

---

(١) مالك بن نبى : الظاهرة القرآنية ، ص ٨٦ .

ومهما حاولنا أن نطرد " فكرة الله " من عقولنا فان هذه الفكرة لابد أن تعود الينا بصورة ما من الصور ، مادام العالم الذى نعيش فيه عالما ناقصا لايستطيع أن يكفى نفسه بنفسه " (١) .

كما أن أثر الفكرة الدينية واضح فى المجتمعات التاريخية التى تكون نفسية الفرد فيها مفعمة بالنزعة الدينية والتى تمثل جزءا من طبيعته (٢) .

ومهما حاول الانسان التهرب من أثر الفكرة الدينية ، فانه سيلاحظ بأن اغفال الفكرة الدينية يعنى اغفال مكوّن أساسى من مكوناته .

حتى أن كومت الذى كان يرى أن فناء الديانات نهاية حتمية لتقدم العلوم ، نادى فى آخر حياته بديانة انسانية جديدة ، على نمط النظام الكنسى للديانة الكاثوليكية (٣) .

وبهذا يتضح أن العنصر الدينى يتدخل فى تكوين الطاقة النفسية الأساسية للفرد ، وفى تنظيم طاقته وتوجيهها حسب النشاط المشترك الذى يؤديه المجتمع فى التاريخ (٤) .

---

(١) زكريا ابراهيم ، مشكلة الانسان ، ص ١٧٩ .
(٢) مالك بن نبى : ميلاد مجتمع ، ص ٦٤ .
(٣) محمد عبدالله دراز : الدين ، ص ٩٤ .
(٤) مالك بن نبى : ميلاد مجتمع ، ص ٦٨ .

والفكرة الدينية لها كبير الأثر فى السلوك الحضارى للانسان وفى مواجهة الانسان للصعوبات التى تواجهه فى طريقه ، ذلك بان المجتمع البشرى لا يمكنه مجابهة الصعوبات مالم يكن على علم بهدف وجوده فى الحياة (١) .

كذلك فان الفكرة الدينية تمد الانسان بالنشاط الأخلاقى الذى يجعله مستعدا " لأن يفرض على نفسه قاعدة معينة للسلوك ، وأن يختار ما يعتبره الأحسن من بين وجوه تصرف عديدة ، وأن يتخلص من أنانيته وحقده ، وأن يخلق فيه الشعور بالمسئولية والواجب" (٢) .

كما أن الفكرة الدينية تبعث فى الانسان حب التضحية بمصلحته من أجل القيم الخلقية التى تنظم نشاط المجتمع فى سبيل غايته (٣) .

وبالتالى تسهم الفكرة الدينية فى التماسك الاجتماعى .

والعامل الدينى يعتبره كثير من المفكرين عنصرا هاما فى قيام الحضارة فى أى مجتمع من المجتمعات (٤) .

---

(١) مالك بن نبى : شروط النهضة ، ص ٧١ .
(٢) الكسيس كاريل : الانسان ذلك المجهول ، ص ١٥١ .
(٣) مالك بن نبى : ميلاد مجتمع ، ص ٤٩ .
(٤) مالك بن نبى : شروط النهضة ، ص (٦١ - ٧٢) .

ثالثا : ضرورة الرؤية الاسلامية :

يتضح مما سبق ان القضايا الميتافيزيقية فرضت نفسها على العالم الغربى الذى حاول بكل الوسائل أن يفر منها ، الا أنها استعادت أهميتها فى العقود الأخيرة من هذا القرن .

وهذا يدل على أن العلم بمفهومه الغربى لايمكن أن يكون بديلا لكل شىء فى حياة الانسان ، ولا حتى أن يجيب على كل تساؤل يواجه الانسان فى حياته .

واتضح كذلك أهمية الفكرة الدينية فى حياة الانسان من حيث أنها تحدد أهدافه وغاياته الكبرى .

وهذا يقود بطبيعة الحال الى بيان أهمية الاسلام باعتباره فكرة دينية لازمت المجتمع المسلم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان .

المجتمعات الاسلامية لها واقعها الخاص ، وتاريخها الذى يختلف عن تاريخ غيرها من الأمم .

وهذا يجعل المسلم يرفض استعارة الكثير من المفاهيم المتعلقة بالنواحى الفكرية والثقافية ، مثل العلوم التربوية .

فالعلوم التربوية فى المجتمعات الاسلامية يجب أن تكون نابعة من التصور الاسلامى للكون والحياة والانسان ، أو بمعنى آخر يجب أن تكون هذه المفاهيم نابعة من العقيدة الاسلامية لكى تلبى حاجة المجتمعات الاسلامية .

وهذا يقتضى نظرة فاحصة الى المدارس الغربية التى تعبر عن مضمون معرفى مختلف عن المضمون المعرفى للمجتمعات الاسلامية .

ذلك لأن المدارس الغربية ليست محايدة تجاه المجتمعات الاسلامية ، بل هى معادية لها فى كثير من افكارها .

وهذا العداء قد يصدر عن الإرتباط المؤسسى بين تلك العلوم ومخططات الدولة ، وقد يصدر عن التأثر بالمناخ الأيديولوجى الذى يوجه تلك الأفكار (١) .

والحذر من استعارة العلوم التى توجه سلوك الفرد فى المجتمع ينبع من اختلاف مجال المجتمع عن مجال الميكانيكا والعلوم المادية الأخرى .

ذلك لأن أية قضية ذات طابع اجتماعى تحتوى على عناصر لاتوزن ولايمكن تعريفها ، فى حين أنها تعتبر جزءا لايستغنى عنه فى التعريف عندما تطبق فى ظروف البلاد التى نستوردها منها (٢) .

---

(١) مجموعة من المؤلفين : اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، ص ٢٥٨ .

(٢) مالك بن نبى : ميلاد مجتمع ، ص ٩٥ .

ولاشك أن الفكر التربوى يختلف باختلاف المجتمعات .

فكل مجتمع له أطره الفكرية الخاصة التى تحكم سير الفكر التربوى فيه ، وكل مرئى يختلف باختلاف زاوية الرؤية .

فالأوروبى ينظر الى أوروبا على أنها محور العالم . ولذلك فهو ينظر الى الحياة والناس والأحداث من خلال هذه الرؤية (١) .

والمجتمعات المسلمة غير ملزمة بهذه الرؤية ، ولابزاوية الرصد تلك .

بل عليها أن تنظر الى الحياة والانسان والأحداث من خلال زاوية رصدها الخاصة الممثلة فى الاسلام دينا ومنهجا وسلوكا .

ومحاكمة المفاهيم المختلفة للرؤية الاسلامية أمر واجب على الأمة المسلمة ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ .

الأنعام (١٥٣) .

ويقول أيضا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ .

النساء (٥٩) .

---

(١) سيد قطب : فى التاريخ فكرة ومنهاج ، ص ٤٠ .

ويقول سبحانه : ﴿ وماكان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ .

الأحزاب (٣٦) .

وجاء فى موعظة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : "..... فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ "(١) .

والملاحظ أن حالة التخلف التى تعانى منها المجتمعات الاسلامية فى كافة المستويات ، أدت الى تخلف فى استيعاب العلوم الفكرية المعاصرة ، وصياغتها بما يتلاءم مع الرؤية الاسلامية الصحيحة .

والمنهج الاسلامى ليس مسئولا عن هذا التخلف ، بل إن ممارسات المسلمين الخاطئة وتخلفهم فى جميع المستويات هى السبب الأول والمباشر .

---

(١) الحافظ المنذرى : مختصر سنن أبى داود ، حديث رقم (٤٤٤٣) وقال عنه الترمذى : حسن صحيح .

ذلك لأن " منهج الله ثابت وقيمه وموازينه ثابتة . والبشر يبعدون أو يقربون من هذا المنهج ، ويخطئون ويصيبون فى قواعد التصور وقواعد التطبيق والسلوك ، ولكن ليس شئ من أخطائهم محسوبا على المنهج ، ولا مغيرا لقيمه وموازينه الثابتة " (١) .

المبحث الثانى : خصائص الرؤية الاسلامية :

الرؤية الاسلامية لها طابعها الخاص الذى يميزها عن غيرها من الرؤى والتصورات الوضعية البشرية .

وذلك لأن العقيدة الاسلامية هى الركيزة الأساسية التى تقوم عليها الرؤية الاسلامية ، وهى التى تمثل نظرة الانسان للكون والحياة والانسان .

ومن أهم خصائص الرؤية الاسلامية الربانية ، والشمول والتوازن ، والثبات :

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن

أولا : الربانية :

وهى أولى الخصائص المميزة للرؤية الاسلامية عن غيرها من التصورات البشرية المتمثلة فى الفلسفات التى تحاول وضع تصور عن الكون والحياة والانسان (١) .

وربانية الرؤية الاسلامية تعنى أن المصدر الذى تنبع منه الرؤية الاسلامية ، والمتمثل فى الكتاب والسنة ، موحى به من الله عز وجل .

وهذا يجعل هذا المصدر مبرأ من القصور البشرى ، ومن الهوى البشرى كذلك (٢) .

ذلك لأن البشر يتسم بالنظرة الجزئية والنسبية الى الأمور .

كما أن وسائل المعرفة عند الانسان قاصرة عن معرفة القضايا الكبرى المتعلقة بهدف وجوده ، وعلاقته بالخالق والكون ومايترتب على تحقيقه لهدف وجوده فى الدنيا أو عدمه ، اضافة الى قضايا أخرى تتعلق بالكون والحياة والانسان .

---

(١) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامى ، ص (٤٣) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٤٥) .

والربانية فى التصور الاسلامى لها انعكاساتها على العلـــوم التربوية ، اذ أنها تعمل على تحديد الغايات والمقاصد والأهداف للعلوم التربوية فى حدود دائرة الضمان التى اذا شت عنها العقـــل فانه سيدخل فى متاهة غير مضمونة النتائج .

ويدخل فى ربانية الرؤية الاسلامية ، ربانية المعيـــــار التربوى الذى نقيس به الفرد والجماعة والتاريخ .

والمعيار الذى يقاس به الأشخاص والأشياء والأحداث هـــو الانسان ، كما أراده الله سبحانه وتعالى من حيث مهمته وتكوينـه والسنن التى تحكم حياته (١) .

وعندما يكون المعيار الذى تبنى عليه العلوم التربوية بهذه الصورة فى المجتمع المسلم ، فان ذلك يدل على الموضوعيـــة والخروج من أسر الذاتية .

وذلك لأن المعيار الذى يقاس به الأفراد والأحداث هـــو الانسان كما يريده الله ، لا كما يريده أحد من الناس الذيـــن تحكمهم مصالحهم الذاتية وأهواؤهم الشخصية .

---

(١) محمد قطب : حول التفسير الاسلامى للتاريخ ، ص (١٩٩) .

ويتسم هذا المعيار بالموضوعية أيضا لأنه لا يحابى حتى الأمة الاسلامية ذاتها ، بل يسجل عليها انحرافها ، ويعتبره خطأ بشريا لايحسب على التصور الاسلامى الصحيح ، ولا يمثله فى تلك الجزئية (١) .

ومما يدلك على ذلك ، هو أن الله سبحانه وتعالى جعل الغلبة للكفار على المسلمين فى بداية غزوة حنين ، وذلك لما أعجب المسلمين بكثرتهم ، وغفلوا عن حقيقة هامة ، وهى أن الكثرة لاتنفع وحدها دون اللجوء الى عون الله سبحانه .

ولذلك انطبقت عليهم سنة الله سبحانه وتعالى ولم تحابهم لأنهم مسلمون .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لقد نَصَرَكُمُ اللهُ فى مواطنَ كثيرةٍ ، ويومَ حنينٍ اذ أعجبتكم كثرتُكم فلمْ تُغْنِ عنْكم شيئاً وضاقتْ عليكم الأرضُ بما رَحُبَتْ ثم وليتُم مُدبرين ﴾ .

التوبة (٢٥) .

---

(١) محمد قطب : حول التفسير الاسلامى للتاريخ ، ص (٢٠٣ - ٢٠٤) .

وكذلك فى غزوة أحد ، فقد كانت الصولة فى بداية المعركة للمسلمين .

وفى نهاية المعركة تغلب الكفار على المسلمين ، وذلك لمخالفات وقع فيها المسلمون ذكرها الله سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿ حتى اذا فَشِلْتُم وتَنازَعْتُم فى الأمْرِ وعَصَيْتُم من بَعْدِ ما أراكُم ما تُحِبون مِنكم مَن يُرِيدُ الدُّنيا ومنكُم من يُرِيدُ الآخرة ﴾

آل عمران (١٥٢) .

ثانيا : الثبات :

والثبات فى الرؤية الاسلامية يعنى أن هناك ثباتا فى مقومات هذه الرؤية ، وقيمها الذاتية .

فهى لاتتغير ولا تتطور . أما ظواهر الحياة الواقعية ، واشكال الأوضاع العملية فانها تتغير ، ولكنها تبقى محكومة بالمقومات والقيم الثابتة لهذه الرؤية .

وهذا لايقتضى تجميد حركة الفكر والحياة ، بل يدفعها الى الحركة داخل هذا الاطار الثابت وحول محور ثابت (١) .

---

(١) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامى ، ص (٧٢) .

والثبات فى الرؤية الاسلامية ، انما كان فى المقومات والقيم الاساسية ، وذلك لأن هذه القيم والمقومات الأساسية حقائق موضوعية ثابتة من جهة ، ومن جهة أخرى فان العقل البشرى لايستطيع أن يتوصل اليها بوسائله المحدودة .

وحتى لو حاول الانسان أن يضع له قيما عن طريق العقل ، فان هذه القيم ستكون انعكاسا لأهوائه وميوله الذاتية .

وهذا يجعل هذه القيم متغيرة حسب الزمان والمكان واختلاف الميول والأهواء .

ذلك لأن انماطة الأمور بالعقل تردها الى شىء غير واقعى لأن العقول مختلفة فى القوة والحكم على القضايا .

ويضاف الى هذا ، أنه ليس هناك عقل مطلق لايتناوله النقص والهوى والشهوة ، وهذا يجعل الأمر ينتهى الى فوضى (١) .

وهذا يعنى أن هذه القواعد الثابتة فى الرؤية الاسلامية والمتمثلة فى العقائد والقيم هى الضوابط للعقل عندما يفكر فى أمر من الأمور .

---

(١) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامى ، ص (١٩) .

وذلك لايعنى كبت العقل الانسانى . فالاسلام أطلق للعقل حرية النظر فى كثير من الأمور ، حتى أن الاجتهاد - وهو الفهم العقلى للنص - يعد مصدرا من مصادر التشريع الاسلامى ، وهذا يدل على أهمية العقل فى التصور الاسلامى .

ويجب التفرقة فى الرؤية الاسلامية بين الأهداف والغايات الكبرى والقيم الثابتة من جهة ، وبين وسائل تحقيق هذه الغايات والأهداف فى الواقع من جهة أخرى .

فالأولى ثابتة ولادخل للانسان بها ، وهى حقائق موضوعية لاتتغير بتغير الامكانيات والأوضاع .(١)

فمثلا كان التعليم فى السابق يعتمد على اسلوب الملازمة والتلقى مباشرة من العلماء فى حلقات العلم .

وأما اليوم فقد استحدثت وسائل جديدة للتعليم تعتمد على التقنيات الحديثة والتخطيط والمناهج التى تخدم تخصصات مختلفة .

---

(١) أنور الجندى : شبهات التغريب فى غزو الفكر الاسلامى ، ص ٣١٩

ولكن يبقى الهدف من التربية والتعليم هنا وهناك واحـــــدا وهو اعداد الانسان الصالح كما يريده الله سبحانه وتعالى علـــــى الأرض .

فالهدف يبقى ثابتا وأما التغير فقد يطرأ على وسائل تحقيـــق تلك الأهداف وعلى الأساليب المستخدمة .

ثالثا : الشمول والتكامل والتوازن :

وهى خاصية أصيلة من خصائص الرؤية الاسلامية ، وتأخذ هـــذه الخاصية صورا وأشكالا كثيرة منها :

- الشمول والتكامل والتوازن فى قضيتى الغيب والشهادة (١) .

والغيب هو المغيب عن المحسوس ، والشهادة مـــا يمكن أن يدركه الحس .

وهناك تكامل وتوازن بين هذين المفهومين فـــى الرؤية الاسلامية .

الغيب هو مجموعة من القضايا الهامة والخطيرة فى التصور الاسلامى .

---

(١) سيد قطب : مقومات التصور الاسلامى ، ص (٤٣) .

وتتناول هذه القضايا صفات الخالق ، وصفات بعض المخلوقات كالملائكة والجن ، وتتناول كذلك مواصفات الجنة والنار باعتبارهما وسيلتين للثواب والعقاب وتتناول قضايا أخرى هامة وخطيرة .

وهذه القضايا الكبرى لايستطيع العقل أن يتوصل اليها بمفرده ، ولايستطيع فى نفس الوقت أن يستغنى عنها لأن الايمان بها ينعكس على العقل ذاته أولا ، ثم على الواقع الذى يعيشه الانسان .

ينعكس على العقل لأنه يرسم له المسار الصحيح للتفكير ، ويجيبه على تساؤلات أكبر من حجمه (١) ، ويبين له هدف وجوده ، ومصيره النهائى .

وهذا بدوره ينعكس على واقع الانسان حين يحاول الانسان ان يكيفه حسب مايريد الله منه .

- الشمول والتكامل والتوازن فى مفهوم الانسان ذاته .

فالانسان فى التصور الاسلامى مكون من روح وعقل وجسد ومكونات الانسان هذه تعمل فى وحدة متكاملة ومتداخلة ولايمكن فصلها .

ولذلك اتسمت التربية الاسلامية بالشمول والتكامل فهى تربية روحية وعقلية وجسدية (٢) .

---

(١) محمد عبدالله دراز : دراسات اسلامية فى العلاقات الاجتماعية والدولية ، ص (١١٦ - ١١٧) .

(٢) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، ج ١ ، ص (١٨) .

ولم تقتصر الرؤية الاسلامية على الجانب المادى من حياة الانسان ، ولم تصادر بقية جوانبه كالمذاهب المادية .

ولم تقتصر كذلك على الجانب العقلى دون غيره فتقع فى تطرف المثالية العقلية .

ولم تقتصر على الجانب الروحى فى الانسان وتعتبر أن الجسد دنس يجب اهماله وقهره .

وكذلك لم تغلب الرؤية الاسلامية جانبا من الانسان على جانب آخر ، بل جعلت من كل تلك الجوانب وحدة متكاملة تسير بتوازن وفق الهدف المرسوم لها فى الحياة الدنيا .

وهذا بعكس الفلسفات المادية التى لم تستطيع أن تعدل من عرج الحضارة الحاضرة ، لأنها لاتنظر الى الانسان نظرة شمولية (١) .

- الشمول والتكامل والتوازن فى العلاقة بين الخالق والكون والانسان (٢) .

---

(١) محسن عبدالحميد : المذهبية الاسلامية والتغيير الحضارى ص (٧٥) .

(٢) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامى ، ص (١١٥) .

فالكون والانسان مخلوقان لله سبحانه وتعالى ويسيران فى الوجود حسب مشيئة الله وارداته ، وليس حسب حتمية كونية أو تاريخية .

بل الله سبحانه وتعالى هو الذى أوجد الكون وطبعه على هذا النظام المتمثل فى قوانين ثابتة تحكمه .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما لاعبين ﴾ .

الأنبياء (١٦) .

ويقول أيضا : ﴿ وماخلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ، ماخلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ .

الدخان (٣٨ - ٣٩)

وعلاقة الانسان بالكون ليست علاقة صراع ، وانما علاقة تسخير .

بمعنى ان الله سبحانه وتعالى سخر هذا الكون للانسان (١) .

---

(١) محمد سعيد رمضان البوطى : منهج الحضارة الانسانية فى القرآن ، ص (٩٧) .
وانظر كذلك : عماد الدين خليل : مدخل الى موقف القرآن الكريم من العلم ، ص (٦١) .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات ومافى الأرض وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ .

لقمان (٢٠) .

ويقول سبحانه : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ .

النحل (١٢) .

ويقول أيضا : ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل و النهار ﴾ .

ابراهيم (٣٢ - ٣٣)

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن التدبر فى هذا الكون ، وادراك سننه وقوانينه من صفات ذوى العقول الراجحة .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ .

آل عمران (١٩٠-١٩١).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت ﴾ .

الغاشية (١٧ - ٢٠) .

ولفت القرآن نظر الانسان الى السنن التاريخية وأمره بالتدبر فيها ، كما أمره بالتدبر فى السنن الكونية .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾.

آل عمران (١٣٧) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ .

النمل (٦٩) .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى ثمرة السير فى الأرض مرتبطة بمدى التعقل والتدقيق .

قال تعالى : ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ .

الحج (٤٦) .

وينتج عن مفهوم العلاقة بين الخالق والانسان والكون تصور شامل كامل لحركة الانسان فى هذا الكون سواء كانت حركة تاريخية أو حركة متعلقة بالكون .

وبذلك يكون مفهوم الحياة فى الرؤية الاسلامية مفهوما متكاملا ومتوازنا ويُفضى الى نظرة متناسقة يعطى بها مظاهر الحياة طابع الالتقاء وروح المواءمة بحيث تلتقى ولاتتعارض (١) .

المبحث الثالث : مقومات الموضوعية من منظور اسلامى :

لابد قبل الحديث عن مقومات الموضوعية من منظور اسلامى من تقرير النقاط التالية :

- العلوم الطبيعية تخضع لضوابط وقوانين حسية تحكم سيرها .

ولكون هذه الضوابط والقوانين حسية ، فانه يمكن اكتشافها والاتفاق عليها ، ومن ثم تكون قوانين موضوعية ثابتة .

أما العلوم التربوية فلها ضوابط من نوع آخر تقوم على تحديد الأهداف والغايات والقيم التى تسعى تلك العلوم الى تحقيقها .

ولايمكن أن تكون هناك علوم تربوية غير محكومة بأهداف وغايات وقيم وهذا يجعلها تختلف جذريا عن العلوم الطبيعية .

---

(١) أنور الجندى : أخطاء المنهج الغربى الوافد ، ص (٣٥) .

وهذه الأهداف والغايات والقيم إما أن يضعها العقل البشرى فتكون وضعية بشرية ، وإما أن تكون مستمدة من منهج الله سبحانه وتعالى .

فان كانت من وضع البشر فهى عرضة للأهواء والمصالح التى تختلف باختلاف المجتمعات البشرية فى القيم والمبادىء ، ومن ثم فان ذلك يفقد العلوم التربوية موضوعيتها نظرا لارتباط هذه القيم والأهداف بمصلحة واضعيها وأهوائهم وتأثرها بقصورهم البشرى .(١)

اما ان كانت القيم والمبادىء التى توجه العلوم التربوية مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية فلا شك أن ذلك يعطيها صفة الموضوعية .

وذلك لأنها تخلو من المصالح والأهواء البشرية المختلفة ، وكذلك تخلو من القصور والعجز البشريين .

وهذا هو الذى يجعل القيم والمبادىء الاسلامية حقائق موضوعية ثابتة على مر العصور .

- القرآن الكريم كتاب هداية للبشرية ، ولذلك حدّد للانسان المقومات التى تشمل اعتقاده ومشاعره ومفهوماته وسلوكه وروابطه وعلاقاته ، وترك للانسان مجال الابداع فى العلوم الطبيعية واكتشاف قوانينها .(٢)

---

(١) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، ص (٢٨٥ - ٢٨٦) .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص (١٧٥) .

ويرجع ذلك الى أن مقومات علوم الانسان لايمكن أن يضعها الانسان لنفسه لأنها خارج حدود علمه ، ومن ثم فترك مجال هذه العلوم للخطأ والصواب البشرى - كما هو الحال فى العلوم الطبيعية - أمر بالغ الخطورة لأن تجربة الخطأ والصواب فى العلوم الانسانية ستكون على حساب كينونة الانسان ووقته وجهده ، ولأنها سوف لن تقدم له الصواب المطلق الذى لاخطأ بعده (١) .

وأما بالنسبة للعلوم الطبيعية ، فقد أودع الله سبحانه وتعالى فى الانسان القدرة على اكتشاف قوانينها وذلك لأن عمارة الأرض من أسس خلافة الانسان فيها .

وهناك أمر آخر وهو أن التجارب والاحصاءات ليست " هى الوسيلة الصحيحة لتقرير الحقيقة فى مذاهب الناس وسلوكهم ، لأنها محددة بحدود الزمان والمكان والحواس .

ولذلك لم يكن مندوحة من الاستناد فى التنظيم الاجتماعى والتقنين التربوى الخلقى الى الشرائع السماوية لأن موضوعها هو هذا التنظيم وجمع الناس عليه " (٢) .

---

(١) عماد الدين خليل : تهافت العلمانية ، ص (٢٠) .

(٢) محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها ، (ص ٣٧) .

- التزام الباحث بقيم ومبادىء بشرية وضعية يعتبر اشكالا يحول دون تحقق الموضوعية فى الدراسات التربوية.

وذلك لأن دراسة العلوم التربوية لاتقف عند حد وصف الظاهرة بل لابد من تفسير لتلك الظاهرة .

وهذا التفسير يستمد منطلقاته من القيم والمبادىء التى هى عبارة عن انعكاس لمصالح خاصة وأهواء معينة تحرف مسار تلك العلوم .

وتلك المبادىء والقيم البشرية تستمد معانيها من العقل والتجربة دون الرجوع الى الوحى الذى يرشد العقل الى الطريق السليم فى التفكير ، وهذا يجعل تلك المبادىء البشرية والعلوم التربوية التى تنتج عنها عرضة للقصور والاضطراب .

أما الالتزام بالمبادىء والقيم الاسلامية فهو الضمان الوحيد لتحقيق الموضوعية فى العلوم التربوية .

وذلك لكون هذه المبادىء والقيم حقائق ثابتة قائمة بذاتها وغير مرتبطة بمصلحة أحد من البشر وغير متأثرة بالهوى والنقص البشريين .

ولا يعنى هذا - بالطبع - أن كل ماينتجه العقل المسلم فى حقل العلوم التربوية حقائق ثابتة ، بل قد يخطىء المسلم فيما يصل اليه من تقريرات فى العلوم التربوية .

وهذا مبنى على أن المعرفة مزيج من الموضوعية والذاتية (١) .

فالحقائق الموضوعية تتمثل فى المبادىء والقيم الثابتة .

والذاتية تتمثل فى الفهم البشرى لتلك النصوص وتطبيقاتها المختلفة على العلوم التربوية .

ولذلك قد يخطىء الانسان المسلم فى بعض مايتوصل اليه فى مجال العلوم التربوية ، ولكنه مأجور على أية حال ان أخطأ أو أصاب بشرط أن يكون لديه مؤهلات الاجتهاد فى القضية التى يعبر فيها عن رأى الاسلام .

ورغم كل هذا يبقى عقل الانسان المسلم يعمل فى اطار القيم والمبادىء الثابتة ، وهذه هى دائرة الضمان للعقل المسلم التى تحفظ عليه توازنه وتدفع عنه التخبطات الفكرية .

---

(١) محمد باقر الصدر : فلسفتنا ، ص (١٣٦) .

مقومات الموضوعية فى العلوم التربوية من منظور اسلامى

أولا : الالتزام بالعقيدة والقيم الاسلامية :

قد يتبادر الى الذهن أن الباحث بمجرد التزامه بعقيدة أو قيمة معينة يكون قد انحاز وابتعد عن الموضوعية .

وهذا صحيح اذا كانت العقيدة والقيم من وضع البشر ، فحينها ستكون هذه القيم خادمة لمصلحة فئة معينة من الناس ومتأثرة بالأهواء والقصور البشرى .

أما عندما تكون العقيدة والقيم مستمدة من منهج الله سبحانه وتعالى ، فسوف يكون الالتزام بها أول مقوم من مقومات الموضوعية .

والسبب فى ذلك هو أن العقيدة الاسلامية جاءت لمصلحة الناس جميعا وليست لمصلحة الأمة الاسلامية وحدها .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ الأنبياء (١٠٧) .

وقال أيضا : ﴿ وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ .

سبأ (٢٨) .

كذلك فان القيم الاسلامية لاتفرق بين البشر باعتبار اللون أو الجنس ، بل تعتبر أن الجميع متساوون فى الانسانية .

والمفاضلة بين البشر مبنية على أساس التقوى والعمل الصالح .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ يـأيها النـاس آنـا خلقنـاكم من ذكر وأنثى وجعلنـاكم شعوبـا وقبـائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند اللـــه أتقـاكم ﴾ .

الحجرات (١٣) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ان الله لاينظر الـــى أجسامكم ولا الى صوركم ، ولكن ينظر الى قلوبكم " (١) ، رواه مسلم .

ويضاف الى ذلك أن سنة الله سبحانه وتعالى تجرى على الأمـــة الاسلامية كما تجرى على غيرها ، فهى لاتحابى الأمة المسلمـــــة ان انحرفت عن الطريق السوى وتخلت عن المبادىء الاسلامية .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وان تتولوا يستبدل قومـــا غيركم ثم لايكونوا أمثالكم ﴾ .

محمد (٣٨) .

ثانيا : الحجة للنص :

والنص قد يكون من القرآن الكريم ، وقد يكون من الســـنة النبوية .

وعندما يكون النص القرآنى قطعى الدلالة ، أو النص مـــن السنة قطعى الثبوت والدلالة ، فلا مجال لاجتهاد الانسان أصلا ، بـل يؤخذ بالنص .

---

(١) النووى : رياض الصالحين ، ص (١٥) .

وهذا يعطى ضمانا بعدم تدخل الأهواء والنزعات الذاتية فى مجال الأحكام الشرعية .

ومن أمثلة النصوص قطعية الدلالة النصوص الدالة على فرضية الصلوات الخمس ، ووجوب صوم رمضان ، وحج البيت على المستطيع وحرمة القتل والزنا والسرقة وشرب الخمر .(١)

ومن أمثلة النصوص التى لامجال فيها للاجتهاد والتى تتعلق بالجوانب الخلقية والسلوكية النصوص الدالة على وجوب بر الوالدين والتحلى بالصدق ، والعدل فى القول والعمل ، وحرمة الغيبة والنميمة والكذب والظلم والغدر وشهادة الزور .

وقد يكون النص غير قطعى الدلالة أى ظنى الدلالة . وفى هذه الحالة يشرع الاجتهاد ، اذ أنه " من الثابت أن الاجتهاد المشروع هو ماتعلق بحكم شرعى ليس فيه دليل قطعى "(٢) .

وفى هذه الحالة يكون هناك مساغ للمجتهد - الذى حقق شروط الاجتهاد - أن يجتهد فى وضع معنى محدد للنص الذى يكون ظنى الدلالة بناء على قواعد وضوابط معروفة عند علماء الأصول .

ولكن يبقى النص على أية حال هو المرجع الذى يرجع اليه بحيث تكون الحجة للقول الذى يتفق مع النص ، أو يكون أقرب اليه من غيره .

---

(١) محمد سعيد رمضان البوطى : حوار حول مشكلات حضارية ، ص (١٣٦)
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وأقوال الأئمة والعلماء واضحة فى اثبات حجية النص ، ونزع الحجية عن كل قول أو رأى يخالف النص .

يقول الامام الشافعى - رحمه الله - : " فمهما قلت من قول أو أصّلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ماقلت فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولى " (١) .

ويقول أيضا : " كل ماقلته فكان من رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولى مما صح ، فهو أولى . ولاتقلدونى " (٢) .

ويقول الامام أحمد - رحمه الله - : " لاتقلدونى ولا تقلدوا مالكا ولا الشافعى ولا الثورى ، وتعلموا كما تعلمنا " (٣) .

ويقول مالك بن أنس : " انما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا فى رأيي ، فكل ماوافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل مالم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه " (٤) .

---

(١) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ، ج ٢ ، ص (٢٤٨) .
(٢) الذهبى : سير اعلام النبلاء : (٣٣/١٠) .
(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، (٢١٢/٢٠) .
(٤) الفلانى : ايقاظ همم أولى الأبصار ، ص (٧٢) .

وبهذا يتبين أن الحجة للنص ، وأما الانسان فمهما وصل من مراتب العلم فان قوله ليس بحجة على أحد الا بموافقته للنص .

والعلماء متفقون على ان كل انسان يؤخذ من قوله ويرد الا الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن الله سبحانه وتعالى عصمه من الزلل .

وحجية النص مقوم أساسى من مقومات الموضوعية فى الاسلام فهى تضمن عدم تدخل الأهواء والرغائب الشخصية فى مجال الأحكام الشرعية والقواعد الخلقية والسلوكية .

ثالثا : التزام قواعد البحث العلمى :

ترك الاسلام دائرة واسعة لاجتهاد الانسان فى أمور دنياه وهذه الدائرة تقع تحت عموم قوله صلى الله عليه وسلم : " أنتم أعلم بأمر دنياكم "(١) .

والاجتهاد فى دائرة مالا نص فيه فى كافة فروع المعرفة المختلفة فرض كفاية على الأمة الاسلامية ، بحيث اذا لم يتوفر القدر الكافى من المجتهدين فى تلك الفروع تأثم الأمة جميعها(٢) .

---

(١) مسلم : صحيح مسلم ، ج ٤ ، ص ١٨٣٦ ، حديث رقم ٢٣٦٣ .
(٢) زكى الدين شعبان : أصول الفقه الاسلامى ، ص (٢٣٣) .

وبهذا يتبين أن تحقيق الانتفاع بكل جديد فى مجالات المعارف النظرية والتطبيقية أمر واجب على الأمة الاسلامية .

وقبول الأمة الاسلامية لأى معرفة كانت أوردتها ليس عشوائيا أو مزاجيا ، وانما يتم بناء على قواعد علمية فى البحث وهى :

(١) اعتماد الدليل والبرهان ونبذ الظن والتقليد :

أرشد القرآن الكريم الى عدم قبول أية دعوى بدون دليل مهما يكن قائلها .

والدليل يكون بالبرهان النظرى فى العقليات . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ﴾ .

النمل (٦٤) .

ويكون بالمشاهدة أو التجربة فى الحسيات ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ﴾ .

الزخرف (١٩) .

ويكون بصحة الرواية وتوثيقها فى النقليات (١) ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين ﴾ .

الأحقاف (٤) .

---

(١) يوسف القرضاوى : الرسول والعلم ، ص (٣٨ - ٣٩) .

وقد نهى القرآن الكريم المسلم أن يتخذ مواقفه دون علم ودراية ، قال تعالى : ﴿ ولاتقف ماليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ .

الاسراء (٣٦) .

وفى هذه الآية دعوة صريحة الى تطبيق المنهج العلمى الذى عرفته البشرية حديثا ، وتضيف الآية الى ذلك استقامة القلب ومراقبة الله عز وجل .

والتقيد بمفهوم هذه الآية من شأنه ألا يبقى مجالا للوهم والخرافة فى مجال العقيدة ، ولا مجالا للظن والشبهة فى عالم الحكم والتعامل ، ولا مجالا للأحكام السطحية والفروض الوهمية فى عالم البحوث والتجارب (١) .

ونهى القرآن الكريم فى كثير من الآيات عن اتباع الظن واعتبره ملازما لعدم العلم .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ مالهم به من علم الا اتباع الظن ﴾ .

النساء (١٥٧) .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص (٢٢٢٧) .

ويقول : ﴿ مالهم به من علم ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لايغنى من الحق شيئا ﴾ .

النجم (٢٨) .

ويقول أيضا : ﴿ ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون ﴾ .

الجاثية (٢٤) .

وكما ذم القرآن الكريم اتباع الظن وشنع عليه ، فقد ذم التقليد الذى لايبنى على دليل ، سواء كان هذا التقليد للآباء والأجداد ، أم للسادة والكبراء أم لعامة الناس .(١)

قال تعالى : ﴿ واذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون ﴾ .

البقرة (١٧٠) .

(٢) العدل والنزاهة والانصاف :

العدل فى الاسلام مأمور به مطلقا (٢) ، سواء كان ذلك مع المسلمين أو مع غيرهم .

---

(١) يوسف القرضاوى : الرسول والعلم ، ص (٣٩) .
(٢) ابن تمية : كتاب الرد على المنطقيين ، ص (٤٢٥) .

يقول الله سبحانه وتعالى :﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ .

النساء (١٣٥) .

ويقول فى آية أخرى : ﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ .

المائدة (٨) .

ففى الآية الأولى يأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يعدلوا وينصفوا اذا وقع منهم ظلم أو خطأ ، وألا يحملهم حبهم لذواتهم ووالديهم وأقربائهم على تبرير المواقف بما لا يتفق مع الحقيقة ، بأن يقلبوا الباطل حقا أو الحق باطلا .

وفى الآية الثانية يأمر الله تعالى المؤمنين بأن يلتزموا بالعدل والانصاف والنزاهة حتى مع غيرهم من غير المسلمين، وألا يحملهم بغضهم على اجحافهم وعدم فهمهم الفهم السليم .

وبهذا يتبين بوضوح مدى الموضوعية التى يطالبنا بها القرآن الكريم ونحن نتعامل مع أنفسنا ومع غيرنا من الأمم .

ويظهر معنى العدالة والنزاهة الذى بينته الآية الأولى فى موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى ذر رضى الله عنه ، عندما رفض النبى صلى الله عليه وسلم أن يوليه على

عمل من أعمال المسلمين وقال له : " يا أبا ذر انى أراك ضعيفا ، وانى أحب لك ما أحب لنفسى ،لا تأمّرنّ على اثنين ، ولا تولين على مال يتيم "(١) .

فلم يجامل رسول الله صلى اللهعليه وسلم أبا ذر رضى الله - رغم أنه من الصحابة السابقين - على حساب الحقيقة التى يعلمها منه ، وهى أنه لا يستطيع القيام بذلك العمل ، ولكنه آثر الانصاف حتى مع من هو من أحب الناس اليه .

وأما معنى العدل والانصاف مع غير المسلمين - والذى أشارت اليه الآية الثانية - فيظهر من خلال حديث المستورد القرشىّ عندما قال عند عمرو بن العاص : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " تقوم الساعة والروم أكثر الناس "، فقال له عمرو : أبصر ما تقول ، قال : أقول ما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : لئن قلت ذلك ، ان فيهم لخصالا أربعا : إنهم لأحلم الناس عند فتنة . وأسرعهم افاقة بعد مصيبة ، وأوشكهم كَرّةً بعد فَرّة ، وخيرُهم لمسكين ويتيم وضعيف . وخامسة حسنة جميلة : وأمنَعُهم من ظلم الملوك .(٢)

---

(١) ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ص (١٠٦).
(٢) مسلم : صحيح مسلم ،(ج) ٤ ،ص (٢٢٢٢) حديث رقم (٢٨٩٨).

فعمرو بن العاص هنا ذكر الصفات الطيبة التى يتحلى بها الروم بنزاهة وموضوعية ، رغم أنهم يخالفونه فى الدين ، بل انهم كافرون بميزان الاسلام .

(٣) قبول الحق ولو من المخالف :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، أنّى وجدها فهو أحق بها "(١) .

وقال على رضى الله عنه : " العلم ضالة المؤمن ، فخذوه ولو من أيدى المشركين "(٢) .

وهذا يدل على أن المسلم مطالب بالبحث عن كل نافع أيّاً كان مصدره .

وقد طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فى حياته عندما اختار للمسلمين منزلا ينزلون به فى غزوة بدر ، فأشار عليه الحَبَّابُ بن المنذر بمنزل أفضل من ذاك المنزل ، فقبل الرسول عليه الصلاة والسلام رأيه وأخذ به(٣) .

---

(١) ابن ماجة : سنن ابن ماجة ،(ج) ٢ ، ص (٤٢٠) .
(٢) ابن عبدالبر: جامع بيان العلم وفضله ،١٢١/١ .
(٣) عبدالسلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ، ص (١٣٥) .

وقبول الحق من الآخرين له شواهد فى حياة كبار الصحابة رضى الله عنهم ، منها أن أبابكر الصديق رضى الله عنه كان يرى الجدة ليس لها حق فى الميراث ، ولكنه نزل عند رأى المُغيرة بن شعبة ومحمد بن مَسلمة عندما شهدا بأن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى الجدة السدس.(١)

وكان الامام أبو حنيفة يقول : " هذا رأيى وهذا أحسن ما رأيت ، فمن جاء برأى خير منه قبلناه "(٢) .

وكان علماء الحديث ينقلون أقوال بعض الرواة المتهمين فى دينهم كالشيعة والمرجئة ، وذلك لأنهم يتصفون بالدقة والصدق فى الرواية ، فلم تمنعهم مخالفتُهم لهم فى العقيدة من أخذ ما لديهم من حق .

ومن الأمثلة على ذلك أن البخارى ومسلم رويا عن سعيد بن محمد الجرمى ، ووثقه الذهبى رغم أنه شيعى.(٣)

وكذلك روى البخارى لعبّادِ بن يعقوب حديثا فى الصحيح ، رغم أنه شيعى مبتدع.(٤)

---

(١) ابن تيمية : رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، ص (١٢).

(٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ٢١١/٢٠ .

(٣) الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، (١٥٧/٢) .

(٤) المرجع السابق ، (٣٧٩/٢) .

وقال الامام أحمد عن سالم بن عجلان الأفطس : ما أصلح حديثه وهو مرجىء .(١)

وقال الامام الذهبى عن حَرِيز بن عثمان : كان متقنا ثبتا لكنه مبتدع .(٢)

وقبول ما عند الآخرين من حق أكثر ما يصدق فى وقتنا الحاضر على نتائج العلوم الطبيعية النافعة والتى قدمت للانسان خدمة جليلة ، وكذلك على كثير من القضايا الفكرية التى تتمشى مع مبادىء الاسلام وتخدم مقاصدة العامة .

(٤) رفض النزعة الذاتية المتمثلة فى العواطف والأهواء :

أنكر القرآن الكريم على من يحكمون أهواءهم فى الأمور فى كثير من الآيات ، واعتبر القرآن ذلك منافيا لطريق العلم السليم ، ونهى المسلمين عن اتباع الهوى لأنه لا يوصل الى الحق.

قال سبحانه وتعالى : ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ . النساء (١٣٥) .

وقال تعالى : ﴿ وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ﴾. الأنعام (١١٩) .

وقال سبحانه : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ .

القصص (٥٠).

---

(١) الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال (١١٢/٢) .
(٢) المرجع السابق ، (٤٧٥/١) .

وقال أيضا : ﴿ ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ .

النجم (٢٣) .

وفى هذه الآيات يقرر القرآن الكريم أن نتائج اتباع الهوى خطيرة ووخيمة ، اذ أنها تصد عن العدل ، وتنافى طريق العلم السليم ، وتبعد الانسان عن هداية الله الى الحق .

ويظهر معنى البعد عن النزعة الذاتية فى الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء فيه : " .. وما أنتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها " (١) .

ويظهر كذلك هذا المعنى فى مواقف الصحابة رضى الله عنهم ، فقد ولّى أبو بكر الصديق رضى الله عنه زيدا القضاء وكان يخالفه فى الجد * .

وكذلك ولّى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبى بن كعب وشريحا وكانا يخالفانه (٢) .

---

(١) البخارى : صحيح البخارى بحاشية السندى ، المجلد الثانى ص (٢٧٣) .

* كان أبو بكر الصديق يرى أن الجد أولى بميراث ابن ابنه من اخوته ، وزيد يرى أن الأخوة أولى .

(٢) أبو الخطاب الكلوذانى : التمهيد فى أصول الفقة (ج) ٤ ،ص(٣٢٤)

وكذلك يظهر التخلى عن العواطف والأهواء فى مواقف الكثير من علماء الحديث ورواته الذين ضعفوا آباءهم أو أقاربهم فى رواية الحديث ، مثل العالم المشهور على بن المَدينى الذى ضعف أباه فى رواية الحديث .(١)

وهذه المعانى تزود الباحث المسلم بالحرص على الأمانة والتجرد ، ونبذ دواعى الذاتية والمزاجية ، عندما يسجل ملاحظاته فى دراسة معينة ، وتحثه على تسجيل المواقف والظواهر بتجرد ونزاهة دون تشويه لموقف أو تبرير لظاهرة .

---

(١) الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، (٤٠١/٢) .

الفصل الخامس

النتائج والتوصيات

النتائج والتوصيات :

شمل موضوع هذا البحث قضايا متعددة تتعلق بمفهوم الموضوعية وأهم الملابسات التاريخية والعوامل الفكرية التى لعبت دورا هاما انعكس على مفهوم الموضوعية بمعناها الغربى الذى اتخذ طابع الوضعية الذى ينكر كل تفكير ميتافيزيقى ودينى .

وتطرق هذا البحث كذلك الى الحديث عن أهم الاشكالات التى قد تعيق الباحث عن الوصول الى معرفة حقيقة الظواهر المدروسة .

وتعرض البحث أيضا لموضوع الرؤية الاسلامية وأهم خصائصها اضافة الى أهم مقومات الموضوعية من منظور اسلامى .

وكانت النتائج فى هذه القضايا كالتالى :

* مصطلح " الموضوعية " تأثر - كغيره من المصطلحات المستوردة - بالبيئة التاريخية والفكرية التى كانت تعيشها أوروبا .

وكان على رأس الاتجاهات الفكرية التى أثرت فى العقلية الأوروبية الاتجاه الوضعى الذى ينكر كل مالا يخضع للحس والمشاهدة ، كالقضايا الميتافيزيقية وما تطرحه الأديان من قيم ومبادئ .

وقد انعكس مفهوم الوضعية على مصطلح " الموضوعية " حتى ان كثيراً من الكتاب المسلمين تأثروا بذلك فى تعريفهم للموضوعية بأنها تعنى التخلى عن كل اعتبار قيمى ، وأنها لاتعترف الا بسلطة العقل أو سلطة التجربة والواقع (١) .

---

(١) معن خليل عمر : الموضوعية والتحليل فى البحث الاجتماعى ، ص ١٧

* هناك اشكالات متعلقة بالباحث ، وأخرى متعلقة بموضوع البحث قد تكون عائقا تعترض طريق الموضوعية في الدراسات التربوية والانسانية بصفة عامة .

الاشكالات المتعلقة بالباحث تتمثل في التزامه بعقيدة " أيديولوجيا " وقيم معينة .

والنتيجة أن التزام الباحث بأيديولوجيا وقيم معينة لايعني الانحياز أو اللاموضوعية في كل الأحوال ولكن يختلف اقتراب الباحثين أو ابتعادهم عن مفهوم الموضوعية حسب اختلاف الأيديولوجيات والقيم التي يعتنقونها .

والاشكالات المتعلقة بطبيعة الموضوع تتمثل في عجز العلوم التربوية عن نظيرتها العلوم الطبيعية في مجال التجريب والضبط والتحكم المتمثل في قوانين رياضية صارمة .

والنتيجة أن هذا العجز ناشيء عن اختلاف طبيعة العلوم التربوية عن العلوم الطبيعية ، وناشيء كذلك عن تأثر العلوم التربوية بالسياق الثقافي والمعرفي للمجتمعات المختلفة ، وهذا يؤدي بدوره الى عدم اتفاق على تحديد كثير من المفاهيم التربوية والانسانية .

* الرؤية الاسلامية لها أسس تقوم عليها وتختلف فيها عن الرؤى البشرية الأخرى .

وهذه الأسس تشمل " الربانية " التى تعنى أن مصدر الرؤية الاسلامية وهو الكتاب والسنة موحى به من الله عز وجل .

وتشمل كذلك " الثبات " أى ثبات العقيدة والقيم . وهذا الثبات يسمح للفكر الانسانى أن يجود بكل جديد نافع فى مجال الفكر والمادة ، بشرط أن لايخرج ذلك عن الاطار الثابت للقيم والمبادئ .

وتشمل أيضا " الشمول والتوازن " ، أى شمول النظرة الى الكون والحياة والانسان ، اضافة الى التوازن فى هذه النظرة الذى لايسمح باعلاء جانب فى الحياة على حساب الآخر .

* الباحث المسلم مطالب بالالتزام بقواعد البحث العلمى فى الأمور التى تخضع للحس والمشاهدة ، ولكن الذى يختلف فيه المسلم عن غيره هو اعتقاد المسلم بأن قواعد البحث العلمى لها مجالها الذى تعمل فيه ، ويصح عليه أحكامها ، وهذا المجال متمثل فى مايمكن أن يخضع للحواس .

وهناك مسلمات كبرى تتمثل فى العقيدة والقيم لايمكن بالتالى الحكم عليها عن طريق هذه القواعد .

* التزام الباحث بالعقيدة والقيم الاسلامية يجعله أكثر قربا من غيره الى مفهوم الموضوعية فى الدراسات الانسانية ، ذلك لأن طريقة البحث فى الدراسات

الانسانية تتطلب أدوات ومعايير تتأثر مباشرة بالمسلمات التى يؤمن بها الباحث النابعة من العقائد والقيم .

وهذه المبادىء والقيم تكون نسبية متغيرة عندما تكون من وضع البشر ، لأنها تعبر عن المصلحة المتجددة وتتأثر بالقصور والنظرة الجزئية التى يتصف بها الانسان .

أما المبادىء الاسلامية المتمثلة فى العقيدة والقيم فهى حقائق ثابتة لأن مصدرها هو الله سبحانه وتعالى العليم المحيط بكل شىء علما .

وهذا الثبات فى معايير الحكم على الظواهر الانسانية يجعل طريقة البحث فى العلوم الانسانية أكثر موضوعية عند المسلم .

وبعد ذكر النتائج يُقترح مايلى :

* تكوين لجنة من المتخصصين فى مجال التربية على مستوى الجامعات فى كل قطر اسلامى تكون وظيفتها متابعة المصطلحات الجديدة التى تظهر فى مجال العلوم التربوية ، ومحاولة تأصيلها التأصيل الذى يتمشى مع مفاهيم الاسلام .

ويأتى التأصيل بعد معرفة معانى هذه المصطلحات ضمن ملابساتها الفكرية والواقعية ، ومن ثم الخلوص بمعان اسلامية لتلك المصطلحات .

وهذا يضمن أن لاتتسرب بعض الأفكار الدخيلة الى المجتمعات الاسلامية من خلال تلك المصطلحات .

* يجب أن يكون من بين مسئوليات المؤسسات التعليمية وخاصة الجامعات تبنى مفهوم الموضوعية فى الحكم على ماعند الآخرين وعدم رفضه بحجة أنهم يخالفوننا فى العقيدة والقيم فهناك معارف انسانية تتعلق بوسائل وأساليب تحقيق العملية التربوية يمكن للمسلم أن يستفيد منها عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : " الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها ألتقطها " .

وهذا يؤدى إلى تكوين العقلية الإسلامية الناقدة التى تبنى قبولها ورفضها للأفكار المطروحة على منهج علمى سليم .

المصـــادر و المراجـــع

****

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

- ابراهيم ، زكريا
مشكلة الانسان ، ط : بدون ، القاهرة ، دار مصر للطباعة .

- ابن تيمية ، تقى الدين أحمد
رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، ط : بدون ، بيروت ،دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٠م .

- ــــــــــــــــــــ ،
كتاب الرد على المنطقيين ، تقديم سليمان الندوى ، ط : بدون بيروت ، دار المعرفة .

- ــــــــــــــــــــ ،
مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد العاصمى ط : بدون ، مكة ، مكتبة النهضة الحديثة ، ١٤٠٤ هـ .

- ابن عبدالبر ، يوسف بن عبدالله
جامع بيان العلم وفضله ، ط : بدون ، بيروت ، دار الفكر .

- ابن قيم الجوزية ، أبو عبدالله محمد
أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ط : بدون ، القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

- ابن ماجة ، محمد بن يزيد
سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمى ، ط ١ ، الرياض شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد
لسان العرب ، ط ١ ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٠٠هـ .

- أبو زهرة ، محمد
تاريخ المذاهب الاسلامية ، ج ٢ ، ط : بدون ، القاهرة ، دار وهدان .

- أسد ، محمد
الاسلام على مفترق الطرق ، ترجمة : عمر فروخ ، ط : بدون بيروت ، دار العلم للملايين .

- أمين ، أحمد و محمود ، زكى نجيب
قصة الفلسفة الحديثة ، ط ٥ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٧م .

- أنيس ، ابراهيم وآخرون
المعجم الوسيط ، ط ٢ ، الدوحة ، مطابع قطر الوطنية ، ١٩٨٥م

- الباشا ، أحمد فؤاد
فلسفة العلوم بنظرة اسلامية ، ط ١ ، القاهرة ، مطابع دار المعارف ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

- البخارى ، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل
صحيح البخارى بحاشية السندى ، ج ٢ ، ط بدون ، بيروت ، دار المعرفة .

- بري ، رالف بارتون
انسانية الانسان ، ترجمة : سلمى الخضراء الجيوشى ، ط : بدون بيروت ، مؤسسة المعارف .

- بنروبى ، ج .
مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا ، ترجمة : عبد الرحمن بدوى ، ط : بدون ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤ م .

- بن نبى ، مالك
شروط النهضة ، ترجمة عمر كامل مسقاوى وعبدالصبور شاهين ط : بدون ، طرابلس ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- ــــــــــ ،
الظاهرة القرآنية ، ط ٣ ، الكويت ، منشورات الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- ــــــــــ ،
ميلاد مجتمع ، ط ٣ ، طرابلس ، دار الانشاء ، ١٩٧٤ م .

- البهى ، محمد
الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، ط ٦ ، مكة المكرمة ، المكتبة الفيصلية ، ١٩٧٣ م .

- البوطى ، محمد سعيد رمضان
حوار حول مشكلات حضارية ، ط ١ ، دمشق ، الشركة المتحدة للتوزيع ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

- ــــــــــ ،
منهج الحضارة الانسانية فى القرآن ، ط ١ ، دمشق ، دار الفكر ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

- الجندى ، أنور
أخطاء المنهج الغربى الوافد ، ط ١ ، بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٤ م .

- ــــــــــــ ،
شبهات التغريب فى غزو الفكر الاسلامى ، ط : بدون ، دمشق المكتب الاسلامى ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

- الجيار ، سيد أبراهيم
دراسات فى تاريخ الفكر التربوى ، ط : بدون ، القاهرة ، دار غريب للطباعة .

- حسن ، عبدالباسط محمد
أصول البحث الاجتماعى ، ط ٥ ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٦م

- حسين ، محمد محمد
أزمة العصر ، ط ٣ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- ــــــــــــ ،
حصوننا مهددة من داخلها ، ط ٤ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .

- الخشاب ، ابراهيم
علم الاجتماع ومدارسه ، ط : بدون ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨١م .

- خليل ، عماد الدين
تهافت العلمانية ، ط : بدون ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- ــــــــــــــــــ ،
العلم فى المواجهة المادية ، ط ١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- ــــــــــــــــــ ،
مدخل الى موقف القرآن الكريم من العلم ، ط ١ ، بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- درّاز ، محمد عبدالله
دراسات اسلامية فى العلاقات الاجتماعية والدولية ، ط : بدون الكويت ، دار العلم ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

- ــــــــــــــــــ ،
الدين ، ط ٢ ، الكويت ، دار القلم ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

- دوبو ، رينيه
انسانية الانسان ، ترجمة : نبيل صبحى الطويل ، ط ٢ ، بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

- ديورانت ، ويل
قصة الفلسفة ، ترجمة : أحمد الشيبانى ، ط : بدون ، بيروت المطبعة التجارية .

- الذهبى ، محمد بن أحمد
سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى ، ط ١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- ــــــــــــــــــ ،
ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، تحقيق : على محمد البجاوى ج ٢ ، ط : بدون ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٦٣م .

- الرازى ، زين الدين محمد
مختار الصحاح ، تحقيق : حمزة فتح الله ، ط : بدون ، بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ٠

- زيدان ، محمد فهمى
من نظريات العلم المعاصر الى المواقف الفلسفية ، ط : بدون بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٢ م ٠

- السمالوطى ، نبيل محمد
الأيديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر ، ط : بدون الاسكندرية ، دار بور سعيد للطباعة ، ١٩٧٥م ٠

- شعبان ، زكى الدين
أصول الفقه الاسلامى ، ط ٣ ، بيروت ، دار القلم ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ٠

- الشناوى ، عبدالعزيز محمد
أوروبا فى مطلع العصور الحديثة ، ط ٤ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٢ م ٠

- الصايغ ، عبدالله أحمد
الموضوعية فى البحث الاجتماعى ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، كلية الآداب ، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ٠

- الصايغ ، نوال الصراف
المرجع فى الفكر الفلسفى ، ط : بدون ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٢م ٠

- الصدر ، محمد باقر
فلسفتنا ، ط ٣ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٠م ٠

- الطويل ، توفيق
الفلسفة الخلقية ، نشأتها وتطورها ، ط ٢ ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٧م .

- عاشور ، سعيد عبدالفتاح
أوروبا فى العصور الوسطى ، ج ١ ، ط ٨ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨١م .

- عبدالحميد ، محسن
المذهبية الاسلامية والتغيير الحضارى ، ط ٢ ، الكويت ، دار القلم ، ١٤٠٤ هـ .

- عمار ، حامد
المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ، ط ٢ ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦٤م .

- عمر ، محمد زيان
البحث العلمى ، مناهجه وتقنياته ، ط ٤ ، جدة ، دار الشروق ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

- عمر ، معن خليل
الموضوعية والتحليل فى البحث الاجتماعى ، ط ١ ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- فان دالين ، ديوبولد ب
مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، ترجمة : محمد نبيل نوفل وآخرين ، ط ٢ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٧م .

- الفلانى ، صالح بن محمد
ايقاظ همم أولى الأبصار ، ط : بدون ، بيروت ، دار المعرفة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

- فهيم ، محمد عيسى
اعداد أعضاء هيئة التدريس فى الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم فى الغرب ، سلسلة الدراسات والبحوث التربوية مركز البحوث التربوية والنفسية ، مكة المكرمة ، العدد التاسع ، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- القرضاوى ، يوسف
الرسول والعلم ، ط ١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .

- قطب ، سيد
خصائص التصور الاسلامى ، ط ٥ ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

- ـــــــــ ،
فى التاريخ فكرة ومنهاج ، ط ٦ ، بيروت ، دار الشروق ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- ـــــــــ ،
فى ظلال القرآن ، ط ١٢ ، جدة ، دار العلم ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

- ـــــــــ ،
مقومات التصور الاسلامى ، ط ١ ، القاهرة ، دار الشروق ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

- قطب ، محمد
حول التفسير الاسلامى للتاريخ ، ط ١ ،
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

- ـــــــــــ ،
مذاهب فكرية معاصرة ، ط ١ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- ـــــــــــ ،
منهج التربية الاسلامية ، ط ٧ ، بيروت ، دار الشـــــــــروق
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- قنصوة ، صلاح
الموضوعية فى العلوم الانسانية ، ط : بدون ، القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٨٠م .

- كاريل ، آلكسيس
الانسان ذلك المجهول ، ترجمة : شفيق أسعد فريد ، ط ٣ ، بيروت مكتبة المعارف ، ١٩٨٤م .

- كاسيرر ، أرنست
فى المعرفة التاريخية ، ترجمة : أحمد حمدى محمود ، ط : بدون القاهرة ، دار النهضة العربية .

- كرم ، يوسف
تاريخ الفلسفة الحديثة ، ط : بدون ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٧م .

- الكلوذانى ، محفوظ بن أحمد
التمهيد فى أصول الفقه ، تحقيق : محمد بن على بن ابراهيم
ج ٤ ، ط ١ ، جدة ، دار المدنى ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

- الكيلانى ، ماجد عرسان
فلسفة التربية الاسلامية ، ط ١ ، بيروت ، دار البشائر
الاسلامية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .

- مجموعة من المؤلفين
اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، ط ١ ، بيروت
دار التنوير ، ١٩٨٤ م .

- محمد ، محمد على
علم الاجتماع والمنهج العلمى ، ط ٢ ، الاسكندرية ، دار المعرفة
الجامعية ، ١٩٨١م .

- مسلم ، أبو الحسين مسلم
صحيح مسلم ، ط ٢ ، بيروت ، دار احياء التراث العربى
١٩٧٢م .

- المنذرى ، عبدالعظيم بن عبدالقوى
مختصر سنن أبى داود ، تحقيق : محمد حامد الفقى ، ط : بدون
القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .

- النووى ، محى الدين أبو زكريا
رياض الصالحين ، شرح : مصطفى محمد عمارة ، ط : بدون ، دمشق
دار الفكر ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

- نيلو ، جورج . ف .
مقدمة الى فلسفة التربية ، ترجمة : نظمى لوقا ، ط : بدون القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧١م .

- هارون ، عبد السلام
تهذيب سيرة ابن هشام ، ط : بدون ، دمشق ، دار الفكر ١٣٧٤هـ .